

كلمة صغيرة

أحداث صغيرة ومتابعة تلك التي يشهدها المسلمون في هذه الأيام ، ومجلة ثقافية شهرية مثل (البيان) لا بد أن تركز على أحداث معينة تجتهد في إبرازها وتجليتها للقارئ لتتضح أبعادها ومرامي السياسة العالمية حولها، وللمسلم المثقف رؤية تخالف الصحفي الذي همّه الإثارة ، أو الذي يوجه الحدث كما يريد ، ومن هذا المنطلق تابعنا في هذا العدد أحداث المبعدين عن أهلهم وديارهم في فلسطين المحتلة ، وأحداث طاجكستان الأخيرة ، وما تقوله الصحف الغربية عن مأساة البوسنة التي فاقت كل المآسي، والتي تجسد فيها الحقد الصليبي واضحاً .

المحرر

الافتتاحية

السياسة العليا

رئيس التحرير

عندما بدأ الغرب مشروعه الاستعماري لإحكام السيطرة على العالم الإسلامي، وشد أنشودة الحبل حول عنقه - كما عبر توينبي - كان قد مهد لهذا بأخبث الأساليب وأمكرها. وهي تغيير عقل المسلم وإزاحة الثقافة الإسلامية، ووضع المناهج المناسبة، وتأسيس المدارس والجامعات فنشأت أجيال مهزومة من الداخل ، مهزوزة الشخصية، كانت وما زالت دماراً ووبالاً على الأمة.

جاء في مجلة (العالم الإسلامي) الفرنسية : "إن المدارس التي أنشأها المبشرون في الآستانة وغيرها من البلاد العثمانية، قد كان تأثيرها في حل المسألة الشرقية أعظم من عمل جميع سفراء الدول ومعتمديهم السياسيين" (١)، وقال اللورد سالسبوري : "إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار، فهي تحدث في البلاد التي تنشأ فيها انقساماً وتفريقاً بين أهلها، يفقدون بها وحدتهم ، فيكونون عوناً للمستعمر على أنفسهم" (٢).

إذا كان الغرب قد اتخذ التعليم والمناهج منطلقاً له في مشروعه الاستعماري ، فلماذا لا يبدأ المسلمون رحلة العودة والتجديد، ورحلة البناء والقوة من هذا المنطلق ، وعندما نتكلم عن المناهج ، فلا نعني المناهج المقررة في المدارس فقط ، فهذه قد يكون من الصعوبة تغييرها أحياناً، وإنما نعني المناهج العلمية التربوية بشكل عام. فمثل هذه إذا خرجت للوجود فسوف تستفيد منها المدارس الخاصة، والأسرة المسلمة، والمسجد والمركز الإسلامي. هذه الأعمال من البديهيات إذا أمعنا النظر فيها، وهي لا تكلف المسلمين عناء ومشقة، إذا قيست بما يجب عليهم من الأعمال الكبيرة، ولكننا مع الأسف لم نقم بها، لأن مرض السهولة، والبقاء في دائرة العموميات جعلنا نستصعب مثل هذه الأمور، والأمثلة كثيرة: "السيرة النبوية، العقيدة الإسلامية، اللغة العربية"، هل وضعنا المناهج المناسبة للأطفال ، وللناشئة، وللشباب ، وبأسلوب بسيط وشيق ، يتناسب مع أعمارهم وعقولهم

وثقافتهم ، أم أن مرض السهولة جعلنا نختر أي كتاب لنقرره منهجاً، وقد يكون الكتاب جيداً ولكنه لا يتناسب مع عمر الطفل وثقافته.

ثم نأتي إلى المدارس الإسلامية، والمعاهد التربوية، والتي عليها مدار تخريج أجيال لا تحمل بين جوانحها أمراض التخلف والتبعية، تنشأ إنشاءً على حب هذا الدين وعلى الاستقلالية والثقة بالنفس ، هذه المدارس كان لها بدايات في منتصف هذا القرن ولكنها لم تكن قوية بالدرجة الكافية ثم عادت إلى الظهور هنا وهناك ، ولكنها ما زالت تحبو وهي في نقص كبير في المناهج والمربين ، ومن جهة أخرى فإن هذه المدارس وخاصة في أفريقيا وآسيا قليلة تغالبها مدراس التبشير أو التي هي شبيهة بالتبشير، وإن أصقاعاً بعيدة مثل بلاد أوزبكستان وبقية تلك الجمهوريات ، لهي بأشد الحاجة إلى مدارس تعيد الأجيال إلى إسلامها، وتخرج شباباً معافى من أمراض المجتمعات التي يعيشونها، أكثر من حاجتهم إلى أموال توزع عليهم. وحاجتهم إلى الدعاة الذين يعلمونهم مثل حاجتهم إلى المدارس وكذلك استثمار الأموال في الزراعة والصناعة، وقد سبقتنا (إسرائيل) إلى تلك المناطق كما جاء في مقابلة مع (ديفيد كيمي) حين قال : "لنا مصالح أكبر واهتمامات أعظم في إقامة علاقات مع الجمهوريات الإسلامية، ونحن نشعر أنه بوسعنا أن نقدم لهم المساعدة الاقتصادية(٣)، يجب أن نبدأ بهذه الأعمال بعيداً عن التمزق والتشنج الذي يجتاح العالم الإسلامي ، وبعيداً عن المكر والإبعاد الذي يمارس على شخصية المسلم الثقافية. إن العمل الهادئ القوي هو إعداد المناهج وإنشاء المدارس والجامعات ، ولقد استبشرنا بإنشاء أول مدرسة ومركز إسلامي في دولة ألبانيا، الخارجة للتو من جحيم الشيوعية، ونقول لأصحاب الهم الإسلامي ولأصحاب العقول التي تخطط لمستقبل، هذه هي (السياسة العليا).

الهوامش :

١- عدد نوفمبر ١٩١١ م.

٢- مجلة المنار المجلد ٢١/٢٧٤.

٣- الوسط ٤ / ١ / ١٩٩٣.

في إشراق آية (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))

د. عبد الكريم بكار

في هذه الآية خير عظيم، إذ فيها البشارة لأهل الإيمان بأن للكرب نهاية مهما طال أمده ، وأن الظلمة تحمل في أحشائها فجر المنتظر. وتلك الحالة من التعاقب بين الأطوار والأوضاع المختلفة تنسجم مع الأحوال النفسية والمادية لبني البشر والتي تتأرجح بين النجاح والانكسار والإقبال والإدبار، كما تنسجم مع صنوف الابتلاء الذي هو شرعة الحياة وميسمها العام. وقد بثت هذه الآية الأمل في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم- حيث رأوا في تكرارها توكيداً لوعود الله - عز وجل - بتحسين الأحوال ، فقال ابن مسعود: لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه. وذكر بعض أهل اللغة أن (العسر) معرّف بأل ، و(يسراً) منكر، وأن العرب إذا أعادت ذكر المعرفة كانت عين الأولى، وإذا أعادت النكرة فكانت الثانية غير الأولى(١). وخرجوا على هذا قول ابن عباس : لن يغلب عسر يسرين (٢).

وفي الآية إشارة بديعة إلى اجتنان الفرغ في الشدة والكربة مع أن الظاهر أن الرخاء لا يزامن الشدة، وإنما يعقبها، وذلك لتطمين ذوي العسرة وتبشيرهم بقرب انجلاء الكرب.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستبشار بهذه الآية حيث يرى المسلمون الكثير من صنوف الإحباطات والهزائم وألوان القهر والنكد؛ مما أدى إلى سيادة روح - التشاؤم واليأس، وصار الكثيرون يشعرون بانقطاع الحيلة والاستسلام للظروف والمتغيرات. وأفرز هذا الوضع مقولات يمكن أن نسميها بـ "أدبيات الطريق المسدود"! هذه الأدبيات تتمثل بالشكوى الدائبة من كل شيء، من خذلان الأصدقاء، ومن تأمر الأعداء، من تركة الآباء والأجداد، ومن تصرفات الأبناء والأحفاد!

وهؤلاء المتأزمون يسلطون أشعة النقد دائماً نحو الخارج؛ فهم في ذات أنفسهم على مايرام، وغيرهم هو الذي يفعل كل ما يحدث لهم! وإذا رأوا من يتجه إلى الصيغ العملية بعيداً عن الرسم في الفراغ أطفؤوا حماسه بالقول: لن يدعوك تعلم، ولن يدعوك تربى، ولن يدعوك تمسي عملاقاً، ولن يدعوك...

وكل ذلك يفضي إلى متحارجه (كذا) تنطق بالصيرورة إلى العطالة والبطالة، إلى أن يأتي المهدي، فيكونون من أنصاره أو يحدث الله - تعالى - لهم من أمره فرجاً ومخرجاً! ولعلنا نلخص الأسباب الدافعة إلى تلك الحالة البائسة فيما يلي:

١- التربية الخاصة الأولى التي يخضع لها الفرد:

وتلك التربية قد تقوم ببث روح التشاؤم واليأس من صلاح الزمان وأهله، كما تقوم ببث نوع من العدا بينه وبين البيئة التي ينتمي إليها فإذا ما قطع أسبابه بها وانعزل شعورياً بحث عن نوع من الانتماء الخاص إلى أسرة أو بلدة أو جماعة حتى ينفي عنه الشعور بالاعتراب. لكن يكتشف أن ما كان يعتقد فيه المثالية، ويتشوق إلى تحقيق أماله من خلاله لا يختلف عن غيره كثيراً، مما يورثه الإحباط واليأس حيث يفقد الثقة بكل ما حوله وتكون النتيجة البرم والتأفف من كل شيء وردود الأفعال السلبية تجاه التحديات المختلفة.

٢- التعامل مع الواقع على أنه كتلة صلبة:

يميل أكثر الناس إلى النظرة التبسيطية التي لا ترى لكل ظاهرة إلا سبباً واحداً، ولا ترى في تركيبها إلا عنصراً واحداً. وهذه النظرة الخاطئة تفضي إلى معضلة منهجية كبرى، هي عدم القدرة على تقسيم المشكلة موضع المعاناة إلى أجزاء رئيسية وأخرى ثانوية، كما تؤدي إلى عدم القدرة على إدراك علاقات السيطرة في الظاهرة الواحدة، وعدم القدرة بالتالي على تغييرها أو تبديل مواقعها. والنتيجة النهائية هي الوقوف مشدوهين أمام مشكلة متكلسة مستبهمة لا نرى لها بداية ولا نهاية، والمحصلة النهائية هي الاستسلام للضغوط وانتظار المفاجآت، مع أننا لو باشرنا العمل الممكن اليوم لصار ما هو مستحيل اليوم ممكناً غداً.

٣- عدم الانتباه للعوامل الداخلية للمشكلة:

يندر أن نرى اليوم ظاهرة كبرى لا تخضع في وجودها واشتدادها واتجاهها لعدد من العوامل الداخلية والخارجية، ويظل العامل الخارجي محدود التأثير ما لم يستطع إزاحة أحد العوامل الداخلية والحلول محله. ونستطيع أن نطبق ذلك على أية مشكلة كبرى نواجهها اليوم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الباهرة حين قال: ((وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)) [آل عمران ١٢٠]. والذي يحدث أننا كثيراً ما نبصر المؤثرات الخارجية - وهي مؤثرات قاهرة حقاً - ونغض الطرف عن العوامل الداخلية؛ فنحن مثلاً لا نملك إقناع الأعداء بأن يخففوا من غلوائهم

في عدائنا، كما لا يملك بنو البشر جميعاً أن يمنعوا الثلوج من التساقط ؛ لكن الذي نستطيعه هو تقوية أنفسنا حتى لا نكون لقمة سائغة، كما يفعل الناس في مواجهة ظروف المناخ. لكن المشكلة أن أصعب أنواع المواجهات هي مواجهة الذات ، وأن أرقى أنواع الاكتشاف هي اكتشاف الذات!

٤- عدم إدراك حركة الجدل بين الأحوال :

تتعاقب الأحوال كما يتعاقب الليل والنهار، وما بعد رأس القمة إلا السفح وما بعد السفح إلا القاع. وإن دفع أية قضية إلى حدودها القصوى سيؤدي في النهاية إلى كسر ثورتها أو إنهاؤها بصورة تامة. وحين تصل تجربة أو نظرية أو منهج إلى طريق مسدود فإن الناس لن يتلبنوا إلا قليلاً حتى يجدوا المخرج الذي قد يكون مناسباً، وقد لا يكون. وهنا يأتي دور الثلاثي النكد من الأذكفاء والعملاء والبلهء الذين يحاولون - على اختلاف القصد - عدم وصول أي مشكلة إلى مرحلة الانفجار حتى تظل مستمرة إلى ما لا نهاية! والمشكلات في عالمنا الإسلامي لم تدم تلك القرون المتطاولة إلا نتيجة الهندسة الإخراجية لذلك الثلاثي!! وهنا يأتي أيضاً دور المفكرين الذين يمتلكون رؤية نقدية شاملة ينقلون من خلالها مشكلات مجتمعاتهم إلى حس الناس وأعصابهم حتى لا يتكيف الناس معها سلبياً، وحتى يتاح بالتالي تجاوزها. ((فإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))، وإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب، وإن في رحم كل ضائقة أجنة انفراجها ومفتاح حلها، وإن لجميع ما نعانیه من أزمات حلولاً مناسبة إذا ما توفر لها عقل المهندس ومبضع الجراح وحرقة الوالدة.. وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش :

١- انظر البحر المحيط ٨/٤٨٨،

٢- السابق ، وبعض المحدثين يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.-

من نور النبوة

فوائد من حديث رسول الله

-صلى الله عليه وسلم-

ستر الجعيد

الحديث :

روى مسلم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد - شك الأعمش - قال : "لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وأدهنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : افعلوا.

قال : ف جاء عمر ، فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : نعم ، قال : فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، قال : ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال : فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة" (١).

فيه فوائد:

- ١- التربية على الأخذ بالأسباب.
- ٢- عمق تلك التربية.
- ٣- المشورة وقبولها.
- ٤- التراجع عن القرار ليس ضعفاً في القيادة.
- ٥- كثرة البذل والتضحية مع قلة الإمكانيات فكيف بالعكس؟
- ٦- أهمية الربط بما يقوي الإيمان رغم حصول ما يستدعي ذلك فكيف في غير هذا الموطن؟
- ٧- الإيمان بالمعجزات.
- ٨- عظم البركة والدعاء بها.
- ٩- قوة الضبط والتنفيذ في الجيش المسلم.

الهوامش:

- ١- رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، مسلم بشرح النووي ، ١/٢٢٥-٢٣٦.

أهمية المنهج في العلوم والمعارف عامة، وفي علوم الشريعة خاصة

عثمان بن حسن

المنهج لغة من مادة نهج ، ينهج نهجاً ، وهو الطريق البين الواضح ، ويطلق على الطريق المستقيم. والمنهج، والنهج، والمنهاج : بمعنى واحد. وفي التنزيل قوله (تعالى): ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)) [المائدة ٤٨]. قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "سبيلاً وسنة" (١) وهو مروى عن مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري ، وغيرهم. وروى عن ابن عباس "سنة وسبيلاً" ورجح ابن كثير التفسير الأول؛ لظهوره في المعنى ومناسبته. وقال الحافظ بن حجر: "والمنهاج : السبيل ، أي الطريق الواضح". وفي الاصطلاح هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة؛ والتي تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة. وبعبارة أوجز: هو القانون ، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال. ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها؛ فلكل علم منهج يناسبه ، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون - وهو الغالب - مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد (٢).

مما تقدم من تعريف للمنهج؛ يمكن القول : بأن علم المناهج علم بعدي؛ بمعنى أنه يقف من وراء العلوم؛ كي يحلل طرائقها ويحدد مسالكها. وعليه ، فالاشتغال بالقضايا العلمية، والمسائل التفصيلية في العلوم، غير الاشتغال بمسالك تلك القضايا والمسائل، وكيفية ورودها على هذه الحال، أو تلك الحال، ومعرفة مصادرها، وأدلتها؛ وهو ما يسمى عند المحدثين من العلماء بفلسفة العلوم (٢).

أهمية المنهج في العلوم :

نشأت الحاجة - في أوربا - إلى تأصيل العلوم وتحديد مناهجها بعد الاضطراب الشديد الذي صاحب الفكر الأوربي منذ أمد بعيد، وحتى عصر النهضة "القرن السادس عشر الميلادي"؛ حيث ساد المنطق اليوناني في تلك الفترة، وكان منهجاً - في التفكير - عقيماً، لا يأتي بجديد؛ مما كان له أكبر الأثر في تعطيل العلوم والمعارف قرونًا متطاولة. حتى اهتدى الأوربيون إلى المنهج الاستقرائي التجريبي في العلوم؛ وذلك بفضل اطلاعهم على تراث المسلمين العلمي، واحتكاكهم به، واستفادتهم منه بصورة مباشرة مما ساعد - بل كان له أكبر الأثر - على تقدم العلوم وازدهارها عندهم (٣).

إن مشكلة المنهج هي مشكلة العلم في صميمه؛ ذلك أن شرط قيام العلم وتقدمه، أن تكون هناك طريقة صحيحة تطوى تحتها شتات الوقائع، والمفردات المبعثرة هنا وهناك، بغية تفسير ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات، تنظمها قوانين محددة. وإن تأخر العلوم ناشيء - في العادة - عن تأخر المناهج؛ بمعنى أن لا تكون هناك مناهج محددة وواضحة، ومتفق عليها؛ فيسير كل عالم - في فنه - على غير هدى وبصيرة يخبط خبط عشواء، دون أن يصل إلى نتيجة مفيدة؛ فتتعارض القضايا، وتضطرب المسائل.

فتقدم العلم وتأخره مرتين بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدماً، ولذا يمكن أن يقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما إنه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات. ويتضح الأمر بذكر أمثلة عليه. ففي مجال العربية تجلت أهمية المنهج؛ وذلك حينما خالط المسلمين غيرهم من أمم الأعاجم؛ فبدأ اللحن "يزحف إلى اللسان العربي، الذي هو وسيلة فهم الكتاب والسنة، فانتدب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أبا الأسود الدؤلي، ليقعد للناس ما يحفظون به لسانهم من الفساد (٤). قال ابن خلدون: "وخشي أهل العلوم منهم، أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد؛ فيغلق القرآن والحديث على الفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم، قوانين لتلك الملكة، مطردة، شبه الكليات والقواعد؛ يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل: أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع" (٥) وقال (رحمه الله) في موضع آخر: "وحين كان الكلام ملكة لأهله، لم تكن هذه (النحو والصرف) علوماً، ولا قوانين، ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج إليها؛ لأنها جبلته وملكته، فلما فسدت الملكة في لسان العرب؛ قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح، ومقاييس مستنبطة صحيحة، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله (تعالى)". فنشأت علوم العربية، محافظة على صحة اللسان، وصيانة له من اللحن؛ فكانت علوم النحو والصرف، وما يسمى بقرنه اللغة، الذي هو عبارة عن علم يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف "على القوانين التي تسيّر عليها في حياتها (٦).

ولما ضعفت - في الناس - العربية، وكثرت الوقائع والأحداث، واحتاج العلماء إلى معرفة أحكامها الشرعية، وقد تعددت طرق الاجتهاد، والاستنباط، وادعى الاجتهاد، والفقه في الدين، من ليس من أهله؛ احتاج المسلمون إلى تأصيل الفقه وتقعيده، وبيان مصادر الأحكام وأدلتها، ومعرفة حجية الأدلة، ومراتبها في الاستدلال، وشروط هذا الاستدلال، وتحديد مناهج الاجتهاد، والاستنباط؛ بحيث يسير المجتهد على هديها عند تعرفه على الأحكام من أدلتها التفصيلية، وهو ما يعرف بأصول الفقه.

قال الفخر الرازي: الناس كانوا قبل الإمام الشافعي (رضي الله عنه) يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون، ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي (رحمه الله تعالى) علم أصول الفقه، ووضع للخلق

قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع" (٧) وقال ابن خلدون : "واحتاج الفقهاء والمحدثون إلى تحصيل هذه القوانين ، والقواعد؛ لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه : أصول الفقه" (٨). وفائدة هذا العلم العظيم : أن يتمكن المجتهد من الحصول على قدرة، يستطيع بها استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها، على أسس علمية صحيحة(٩).

ولما ظهر الوضع في الحديث ، وضعفت الهمم عن الحفظ والرواية ؛ احتاج العلماء إلى تدوين قواعد ومناهج ، تعرف بها أقوال النبي _ صلى الله عليه وسلم-، وأفعاله وأحواله ، وضبطها، وتحرر ألفاظها، ومعرفة أحوال رواتها، وطبقاتهم ، وأصناف مروياتهم ، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا العلم؛ مما يساعد على معرفة حال

الحديث : سنداً وممتناً، من حيث القبول والرد. وبذلك يعرف صحيح الحديث من سقيمه ، ومرفوعه من موقوفه.. وهذا العلم فن أبرز ما يفخر به المسلمون على غيرهم من الأمم؛ لدقته في أصوله ومسائله (١٠). وكذلك قعد العلماء في مناهج لتفسير القرآن الكريم؛ على نحو ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية وتابعه في ذلك ابن كثير.

قال ابن تيمية - وهو يعرف بأصول التفسير -: "قواعد كلية تعين على فهم القرآن ، ومعرفة تفسيره ومعانيه ، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل.." (١١).

أما في مجال العلوم الطبيعية فقد اعتمد العلماء المنهج الاستقرائي؛ الذي يقوم على أسس علمية ثابتة، تتمثل في ثلاث مراحل رئيسة: (١٢)

١- مرحلة البحث : وتتم عن طريقي الملاحظة والتجربة.

٢- مرحلة الفرض : وفيها يفترض الباحث وجود علاقة ما بين الظواهر التي تجري عليها تجاربه.

٣- مرحلة البرهان : وفيها يتحقق الباحث من صدق ما افترضه سابقاً؛ بحيث يتأكد من أن العلاقة التي لاحظها في مرحلة الفرض ، علاقة صحيحة، وأنها تنطبق على جميع الظواهر المماثلة للأفراد التي يدرسها. وبعدها يستطيع إصدار حكم عام ، يشمل ما وقع تحت الملاحظة والتجريب ، وما لم يقع؛ لما يوجد بينها من التشابه..

ومن ثم تتقدم العلوم بفضل هذا المنهج الذي يكشف عن القوانين التي تنتظم الظواهر، ومعرفة ما قد يربط بينها من علاقات.

ومن هنا تتضح أهمية المنهج في ضبط العلوم، وتحديد أهدافها، وطرائقها، بحيث لا تضطرب القضايا، وتتعارض المسائل ، مما يساعد على تقدم العلوم ، وحفظها من الدخيل والشاذ، وصونها من الضياع والاختلاف ، كما ويشترط أن يكون المنهج واضح المعالم بين القسامات ، بحيث يسير الباحث على هدى، وبصيرة ؛ يعرف أين يقف ، وإلى أين يتجه.

الهوامش :

١- صحيح البخاري ١/٤٦،

٢- انظر: العلم والبحث العلمي لحسين عبد الحميد رشوان ، ص ١٤٣-١٤٥، ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد مرسى ص ٢٧١-٢٧٣..

٣- انظر: العلم والبحث العلمي ، لرشوان ص ١٤٣-١٤٥، ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال موسى ص ٢٧٣، وانظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد على الملا ص ١١٥.

٤- انظر: الفهرست لابن النديم.

٥- مقدمة ابن خلدون ص ٥١٥.

- ٦- انظر: فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب ، ص ٩ مكتبة الخانجي.
 ٧ - مناقب الشافعي ، الرازي ص ٣٥٧ .
 ٨- مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٠،
 ٩- انظر: الأصول من علم الأصول ، لمحمد بن صالح العثيمين ص ٨،
 ١٠- روى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد أنه قال : بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء، لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب ، والإعراب.
 ١١ - مجموع الفتاوى ٣٢٩/١٣،
 ١٢- انظر: رؤية معاصرة في علم المناهج ، د.علي عبد المعطي محمد، ص ٢٥٥. والتفكير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الجديد، د. عبد اللطيف محمد العبد، ص ٥٥.

خواطر في الدعوة درس من السيرة

محمد العبد

مرت الدعوة الإسلامية في طورها الأول بتجربة قاسية، فقد امتحن الصحابة الكرام وابتلوا بلاء شديداً، كما وقع لبلال وعمار وخباب -رضي الله عنهم أجمعين- ، وهذا الابتلاء لا بد منه في الدعوات ، حتى تصقل ويقوى عودها، ويزداد رجالها خبرة وتجربة وتمرساً في الحياة، فإذا مكن لهم في الأرض كانوا على قدر المهمة المناطة بهم. وحتى لا تكون المحنة أقسى مما يتحملة بشر، فعندئذ قد يتسرب اليأس والقنوط إلى النفوس ، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخفف من آلام أصحابه ، ويدعوهم إلى الصبر، ويذكرهم بما وقع للمؤمنين من قبلهم ، ويبشّرهم بأن سيكون بعد الضيق فرج بإذن الله ، فكانت كلماته برداً وسلاماً على قلوبهم ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- - وهو الرحمة المهداة - يبحث عن مخرج لهذه المحنة، فأشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر من هاجر في المرتين ، وعاشوا هناك آمنين مطمئنين يعبدون الله دون خوف أو أذى، واستمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبحث عن مخرج وفسحة أكبر من الحبشة، حتى تأذن الله بالفرج وذلك بإسلام نفر من أهل المدينة، ثم كانت الهجرة الكبرى ثم كانت الدولة. ابتلي المسلمون في هذه الأيام بلاء كبيراً، ورماهم الغرب وأتباعه عن قوس واحدة، وقامت قيامة الإعلام عليهم. ينبزهم بألقاب هم بريئون منها، ويؤزون عليهم من يكره الإسلام وأهله ، وحرضون عليهم السفلة ورعاع الناس.

والابتلاء إذا كان قاسياً قد يحطم الفرد، ويجعله في حالة شلل تام، بل قد يحطم المجتمع إذا لم يكن متماسكاً وعلى درجة عالية من الأخوة والتناصر، وحتى ذلك أو قبل أن يحدث ذلك فإن البحث عن مخرج لهذه الفتن المتلاحقة هو من مهمة القيادات الواعية، والدعاة الصادقين ، والعلماء العاملين ، لا بد أن يرى الشباب بصيصاً من الأمل ، وبشارة بقرب زوال هذا الليل الذي طال وناء بكله على صدور المسلمين ، لا بد من عمل كبير، واجتهاد صحيح في كيفية التغيير، وإن فقدان العلماء - الذين هم على معرفة بالواقع وعلى ارتباط به والذين يجتهدون لكل حادثة، ويكون لهم تأثير كبير وفعال - يضر كثيراً بالعمل الإسلامي ، ويجعل الأصاغر يجتهدون ويخربون ولو كان ذلك بحسن نية. فهل من مبادرات لسد هذه الثغرة، وحتى لا يقع المحذور.

مسالك أهل البدع في النظر والاستدلال (*)

بهاء الدين عقيل

مما لا شك فيه أن الحاجة ماسة في زماننا هذا - وفي كل زمان - لمعرفة صفات أهل السنة والجماعة ومنهجهم في الحياة، فهذه مسألة مهمة وملحة من أجل إنهاء حالة التشتت والحيرة التي يعيشها المسلمون اليوم. وقد ظهرت في الآونة الأخيرة كتابات طيبة بهذا الصدد؛ ويعد من متعلقات ذلك أيضاً البحث في طرق ومسالك أهل البدع في النظر والاستدلال، وتوقيها حتى تسلم لنا الاستقامة على طريق أهل السنة والجماعة؛ فإنما بضدها تتميز الأشياء..

الأصل العام لجميع طرق الاستدلال عندهم :

الأصل في جميع طرق استدلال أهل البدع أنهم لا يأخذون الأدلة مأخذ الافتقار إليها بل يقدمون أهواءهم ، ويعتمدون على آرائهم ، ثم يجعلون الأدلة الشرعية تبعاً لذلك الهوى. ومن يفعل ذلك فهو أحد رجلين :

- إما مغرض ويعلم أنه صاحب هوى متمكن من قلبه ، فيستدل بما يراه موافقاً لهواه ، ويلوي الأدلة لئلا تتوافقه.

- أو هو غير راسخ في العلم ، لا يعرف كلام العرب ودلالته ، ولا مقاصد الشريعة وكلياتها وأصولها، فيقرأ أو يسمع نصاً من الكتاب أو السنة فيفهمه بنفسه فهماً يوافق هوى لديه وهو لا يدري ويظن أنه بذلك متبع للكتاب والسنة.

أما العلماء الراسخون في العلم، المخلصون لله في علمهم وعملهم فلا يقع منهم ذلك أبداً، بل هم يأخذون الأدلة مأخذ أهلها العارفين بكلام العرب وكليات الشريعة ومقاصدها كما كان السلف يأخذونها.

فالهوى هو الدافع والموجه الأول والرئيس لطريقة أهل البدع في النظر والاستدلال ولذلك سماوا بأهل الأهواء، ويتفرع عن هذا الأصل العام مسالك وطرق شتى، ولا يلزم أن توجد كلها عند كل مبتدع بل قد يوجد بعضها دون بعض ، ونسوق الآن من هذه الطرق أوجهاً كلية يقاس عليها غيرها.

المسلك الأول :

الاعتماد على الأحاديث الواهية الضعيفة، أو المكذوب فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم- ، والتي لا يقبلها العلماء المتخصصون في علم الحديث ، كحديث الاكتمال يوم عاشوراء، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم- تواجد واهتز عند السماع(١) حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما أشبه ذلك. وأكثر ما يكون ذلك عند المتصوفة ومن شاكلهم من الفقراء في العلم والنظر.

المسلك الثاني :

رد بعض المبتدعة للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها؛ كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط ، والميزان ، ورؤية الله -عز وجل- في الآخرة، وكذلك حديث الذباب إذا سقط في الإناء، وما شابه ذلك مما صحت فيه الأخبار وثبتت ثبوتاً لا يتطرق إليه شك أو نقد.

وتلك طريقة أهل التحسين والتقبيح العقلي- الذين يقولون: "الحسن ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل، والشرع تابع لذلك" - كالمعتزلة ومن شاكلهم، ومن يسمون في عصرنا الحالي بالعقلانيين.

ولهم مسلك معروف في النصوص المخالفة لمذاهبهم، أما بالنسبة للحديث فكما ذكرنا يردونه بكل جرأة ويتعللون لذلك إما بالقدح في رواته - وإن كانوا من الصحابة أو التابعين وممن اتفق الأئمة على عدالتهم - وإما بقولهم إن الحديث آحاد وهو يفيد الظن ولا يصلح الظن في أمور العقائد؛ وتلك مقولة باطلة ومبتدعة وقد ألفت رسائل في الرد على ذلك الزعم (٢)، أو يردون الحديث بأي علة واهية أخرى.

وأما بالنسبة للآيات القرآنية فلما لم يستطيعوا ردها عمدوا إلى تحريف مدلولاتها وسموا ذلك تأويلًا، فالخلاصة أنهم إذا خالفوا الحديث ردوه وإذا خالفهم القرآن حرفوه وأولوه على غير تأويله المعبر.

وتكمن خطورة مذهب المعتزلة في أنه وإن زالت فرقته الآن - فلا يكاد يوجد من يصرح في عصرنا بأنه معتزلي المذهب - إلا أن أسس مذهبهم وأفكارهم قد انتشرت بين آراء كثير من الأدباء والكتاب المعاصرين، وتراهم يصفون المعتزلة بأنهم أصحاب المدرسة العقلية المستنيرة التي أثرت الفكر الإسلامي، والصواب وصفهم بأصحاب العقول المظلمة، الذين أفسدوا اعتقاد المسلمين رداً من الزمن، وجروا الويلات على الأمة الإسلامية. بل إن من أفكارهم المظلمة ما تسرب إلى اذهان بعض العلماء وأثر عليهم؛ وذلك كأخذ بعض العلماء ببدعة رد أحاديث الآحاد في أمور الاعتقاد، وهذا منتشر بينهم في عصرنا الحالي وكأنه أمر مسلم.

المسلك الثالث :

فهم الآية أو الحديث بالهوى والتخرص. وعدم الرجوع للمعنى العربي للفهم الذي يفهم به عن الله ورسوله؛ وذلك كمن قال في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ)) [الأعراف ١٧٩] أي ألقينا فيها؛ وكأنها من قول العرب (ذرته الريح)، وهذا خطأ لأن ذراً مهموز وذرٌّ غير مهموز (٣). وكقول من قال: إن الإمام في قوله تعالى ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ إِنسٍ بِإِمَامِهِمْ)) جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، وهذا غلط أوجب جهله بالتصريف فإن [أم] لا تجمع على [إمام] (٤) بل جمعها [أمهات] .

ومثل هذه الجهالات كثير، وهي كلها استدلالات لا يعبأ بها، وتسقط مكالمة أهلها، ولا يعد خلاف أمثالهم. وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : "إنما هذا القرآن كلام فضعه مواضعه ولا تتبعوا به أهواءكم" أي فضعه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك فإنه خروج عن طريقة المستقيم إلى اتباع الهوى. وقيل للحسن: رأيت الرجل يتعلم العربية ليقوم بها لسانه ويقوم بها منطقته؟ قال: نعم فليتعلمها فإن الرجل يقرأ بالآية فيعيها توجيهاً فيهلك. وعنه أيضاً قال: أهلكتم العجمة تتأولون القرآن على غير تأويله.

المسلك الرابع :

الانحراف عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات كما قال تعالى: ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ)) [آل عمران ٧]، فمثال ذلك احتجاج النصارى على ألوهية عيسى - عليه السلام - وأنه ولد الله بقوله تعالى: ((وَرُوحٌ مِنْهُ)) [النساء ١٧١] وقوله تعالى عن نفسه في آيات كثيرة بضمائر الجمع: (إننا)، (نحن)؛ وهذا يقتضي التعدد في زعمهم، وقوله تعالى: ((وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)) [التحریم ١٢]، ولم يردوا ذلك إلى صريح قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ كُفُؤاً أَحَدٌ)) [الإخلاص] ، وإلى قوله المحكم : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ)) [النساء 171] ، بل أخذوا من هذه الآية فقط قوله ((وَرُوحٌ مِنْهُ)) وتعلقوا بها مع أن بقية الآية فيها الرد على زعمهم وكفى بذلك دليلاً على اتباع الهوى في الاستدلال.

ومثل احتجاج المعتزلة لخلق القرآن بقوله تعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)) [الزمر 62] ، والمراد خالق كل شيء مخلوق وإلا فقد أجيب عليهم بقوله تعالى: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ)) [الأنعام 119] فهل يقولون أن الله مخلوق؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. والواجب في ذلك كله وما مثله من المتشابه أن يرد إلى المحكم ليعرف من معناه ، وهذا ما عليه العلماء والراسخون في العلم الناهجون نهج أهل السنة والجماعة.

المسلك الخامس :

وقريب من المسلك السابق الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، والعمومات من غير تأمل هل لها مخصصات أم لا؟ أو العكس، وكذلك الأخذ ببعض النصوص دون بعض في المسألة الواحدة والتعلق بها؛ كما مثل الشاطبي - رحمه الله - لذلك بالآتي :

- يحتج الخوارج لقولهم بالخروج على الإمام بحديثهم "ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل" (٥).

- ويحتج القاعد - أي من لا يرى الخروج على الإمام - بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" (٦).

- والمرجئ يحتج بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من عبد قال لا إله إلا الله له ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قلت والقائل هو أبو ذر رضي الله عنه-: وإن زنى وإن سرق ، قال : "وإن زنى وإن سرق" (٧).

- والمخالف له محتج بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" (٨). وهذه النصوص وإن كان ظاهرها يوهم التعارض فإنه يمكن الجمع بينها إذا جعل بعضها أصلاً ورد البعض الآخر إليه بالتأويل السائغ، ولكن كل صاحب بدعة وضلالة يدعي أن دليله هو الأصل ، ويرد ما عداه إليه. والواجب هو جمع الأدلة كلها في المسألة الواحدة وتحقيق ما كان عليه الصحابة وأئمة خير القرون إزاءها، والخروج بحكم واحد فيها. والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أنه وإن كان هذا المسلك المنحرف من مسالك أهل البدع في النظر والاستدلال ، إلا أنه يقع فيه كثير من المسلمين الناشدين للحق؛ فترى أحدهم يسمع نصاً أو يقرأه فيدفعه حرصه على الالتزام وخشيته من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله إلى المبادرة بتنفيذ ما فهمه منه ، حتى وإن بدا مخالفاً لفعل مشاهير الصحابة وأجلائهم؛ وبعيداً عن المعقول ، ويظن أنه يتبع الحق ويخالف هواه ويقهره وأنه بذلك ممتثل لقول الله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب ٣٦]. وإنما كان خطؤه أنه عمل بنص واحد دون الرجوع للعلماء لسؤالهم عنه و عما إذا كان هناك نصوص أخرى في المسألة، وما هو القول الراجح فيها، وقد يشتد حماسه لفهمه السقيم فينصب نفسه مفتياً به وداعياً إليه ، ويتبعه على ذلك قوم من أمثاله ، وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول : "إن الله لا يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (٩). ولعمر الله كم جر هذا المسلك على المسلمين من فتن ومشاكل بينهم في عصرنا الحالي.

والواجب على الباحث المسلم إذا بحث مسألة أن يجمع كل النصوص الواردة وأقوال العلماء فيها ليخرج بمعنى كلي وفهم هو أقرب إلى الصواب حسب ما أداه إليه اجتهاده ، إن كان من أهل الاجتهاد، فيخرج بذلك من دائرة الإثم ، قال الشاطبي -رحمه الله- : "ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد وهو الجهل بمقاصد الشرع ، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض ؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها" (١٠).

المسلك السادس :

صرف الدليل عن المناط الذي ورد عليه إلى مناط آخر موهماً أن المناطين واحد. قال الشاطبي: "وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله ، ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له أو جهل يصده عن الحق ، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه فيكون بذلك السبب مبتدعاً" (١١). ومثال ذلك أن الأدلة وردت بالحث على الذكر مطلقاً قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)) [الأحزاب ٤١] ، وقال : ((وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [الجمعة ١٠] ، فيستدل المبتدع بهذه النصوص على ما يبتدعه من أنكار مخصوصة بكيفيات مخصوصة، وفي أزمنة مخصوصة، مع أن النص ورد مطلقاً وأفاد مطلق الحث على الذكر. والتقييد من جهة المبتدع يخالف ذلك الإطلاق ، والتزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنه أن يفهم التشريع ، ومثل هذه الأدلة والنصوص ينبغي أن تفهم من جهتين : جهة معناها الذي يفيد مطلق الحث على الذكر غير المقيد بهيئة مخصوصة، وجهة عمل السلف الصالح بها. وكل من خالف في ذلك فقد خالف إطلاق الدليل أولاً لأنه قيد فيه بالرأي وخالف ثانياً من كان أعرف منه بالشرعية وهم السلف الصالح -رضي الله عنهم-.

المسلك السابع :

بناء الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل : وهو فعل الباطنيين كالقرامطة وغيرهم. وفرق الباطنية يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة ولا الشرع بل ولا العقل ، والقول بإمام معصوم ، وقد يسمونه باسم آخر، ويجعلونه بعد ذلك إلهاً. ومن فرقهم المحدثه البهائية والبابية. وهؤلاء الباطنية هم قوم أرادوا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين ، ولما لم يمكنهم التصريح بذلك لجأوا إلى صرف الهمم عن الظواهر بادعاء أن لها بواطن مقصودة، وأن الظواهر غير مرادة فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر، والنشر، والأمور الإلهية الأخرى ليس إلا أمثلة ورموز إلى بواطن. ولهم في ذلك ترهات وعجائب منها مثلاً: زعمهم أن الجنابة هي مبادرة الداعي للمستجيب بإفشاء سره إليه قبل أن ينال رتبه الاستحقاق ، والغسل هو تجديد العهد على من فعل ذلك ، والصيام هو الإمساك عن كشف السر، والتيمم الأخذ من المأذون إلى أن يسعد بمشاهدة الداعي والإمام.. الخ. ولا تستخفك تفاهة مذهبهم فتقول هذا مذهب ظاهر البطلان فلا يخشى على أحد من الوقوع فيه ، فإنه يكثر جداً وسط الأعاجم الذين لا يحسنون اللغة ولا يعلمون فقهها ومدلولاتها، وكذلك هي دعوة رائجة لدى السوق والسفلة من الناس حيث تمنحهم الإباحية باسم الدين إذ هي دعوة قائمة على التحلل والإباحية، ثم إن هؤلاء السفلة قد يكثررون وتقوى شوكتهم فيغلبون الناس على آرائهم ومذهبهم ويعيثوا في الأرض فساداً.

المسلك الثامن :

التغالي في تعظيم الشيوخ والاحتجاج بهم : وغاية حجة من يفعل ذلك أن يقول شيخنا الفلاني يقول كذا وكذا، ويفعل كذا وكذا، وهو ولي من أولياء الله المقربين فلا بد أن الحق معه. وأكثر ما يوجد ذلك عند المتصوفة وأمثالهم ممن لا باع لهم في العلم الشرعي. والجواب على ذلك من وجهين :

أحدهما: بيان أن الحجة في الشرع ، لا في الأشخاص غير المعصومين مهما بلغت درجاتهم. والثاني : أن يقال له : وما أدراك أن فلانا المذكور هو من أولياء الله ، فالولاية أمر بين العبد وربّه ، بل كل مؤمن يؤدي الفرائض ويجتنب النواهي هو من أولياء الله الصالحين بحسب الظاهر لنا، ولا يسوغ ذلك اتباعه في أمر من الدين دون معرفة دليله.

المسالك التاسع :

الاستدلال بالرؤى والمنامات : وهو مسلك خطير يستخدمه الشيطان للتلبيس على الناس في دينهم وإيهامهم بشرعية بعض الأمور التي لا يوجد دليل شرعي على صحتها. والذي ينبغي معرفته في هذا الباب ، أن "الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا" (١٢)، "فلو رأى في النوم قائلاً يقول : إن فلاناً سرق فاقطعه ، أو عالم فاسأله. أو اعمل بما يقولون لك ، أو فلان زنى فحده ، وما أشبه ذلك ؛ لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة وإلا كان عاملاً بغير شريعة، إذ ليس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وحي" (١٣).

وقد يحتج المسلم بالمنامات بقوله صلى الله عليه وسلم- : "رؤيا المؤمن -جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" (١٤) وقد أجاب الشاطبي عن ذلك بقوله : "إن كانت الرؤية من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي بل جزء من أجزاءه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة [يعني أن البشارة والنذارة من مقاصد النبوة ومن أجزاءها كما في قوله تعالى : ((أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)) [هود ٢]. وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح كما في الرواية الأخرى للحديث السابق: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" (١٥) وحصول الشروط مما ينظر فيه فقد تتوفر وقد لا تتوفر. وأيضاً فهي منقسمة إلى الحلم وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاق، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة؟ ويلزم أيضاً على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو منهي عنه بالإجماع" (١٦).

وخلاصة القول في الرؤيا أنه يستفاد منها في جانب البشارة والنذارة، ولا يؤخذ منها حكم إلا بعد عرضها على الشرع فلينتبه إلى ذلك، فهذا هو الاعتدال في الأخذ بالرؤيا والعمل بها. وفي الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة فقير الحجة.

وبعد فكما سبق أن بينا لم نقصد في هذا الموضوع إلى الاستيعاب وإنما هي أوجه كلية لطرق أهل البدع في الاستدلال يقاس عليها غيرها، وندعو إخواننا المسلمين إلى الحذر دائماً من أصحاب البدع ومسالكهم في المحاجة والاستدلال، وقانا الله وإياهم شر البدع وأهلها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

- * - عناصر هذا الموضوع مستقاة من الباب الرابع من كتاب الاعتصام للشاطبي بتصرف / ١ - ٢٢٠ - ٢٨٥،
- ١- أي سماع الأغاني والتواشيح التي تزعم المتصوفة أنها من الذكر.
- ٢- انظر في ذلك كتاب أخبار الأحاد في الحديث النبوي لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ، الباب الرابع ، ص ٩٣-١٠١ ، طبعة دار طيبة الرياض.
- ٣- انظر الاعتصام ، ١ / ٢٣٧،
- ٤- انظر الاتقان ، ٢ / ٢٣١،
- ٥- الحديث بهذا اللفظ أورده أحمد في مسنده ٢٧٨/٥ ، وأبو داود في الفتن وفي أوله قصة.
- ٦- الحديث أخرجه أبو داود في سننه باب في الخوارج ، انظر عون المعبود ١٠٢/١٣ طبعة دار الفكر.
- ٧- أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما. انظر مسلم شرح النووي ٩٤/٢
- ٨- أخرجه ابن ماجه في سنن كتاب الفتن ٣٦٥/٢ طبعة الأعظمي.
- ٩- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (فتح الباري ٩٤/١ ص ١٠٠).
- ١٠- الاعتصام ، ١ / ٢٤٥،
- ١١- الاعتصام ، ١ / ٢٤٩،
- ١٢- الاعتصام /١، ٢٦٠،
- ١٣- الاعتصام ، ١ / ٢٦١،
- ١٤- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير، انظر فتح الباري ٣٧٣/١٢، ٦٩٨٧،
- ١٥- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير، انظر فتح الباري ٣٧٣/١٢، ٦٩٨٣.
- ١٦- الاعتصام / ١ / ٢٦١.

شذرات وقطوف

من آيات نبوته

-صلى الله عليه وسلم-

"آية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة، وهي الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشر قط قبله، ولا تجتمع لبشر بعده ، وذلك أنا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ، ولا كعلمه ، ولا كوفائه ، ولا كزهده ، ولا كجوده، ولا كنجده ، ولا كصدق محبته ، ولا كتواضعه ، ولا كعلمه، ولا كحفظه، ولا كصمته إذا صمت، ولا كقوله إذا قال ، ولا كعجيب منشئه ، ولا كعفوه، ولا كدوام طريقتة ، ولم نجد شجاعاً قط إلا وقد جال جولة، وفرّ فرّة، وانحاز مرة من معدودي شجعان الإسلام ، ومشهوري فرسان الجاهلية كفلان وفلان. وبعد فقد نصر النبي وهاجر معه قوم ولم نر كنجدهم نجدة، ولا كصبرهم صبراً. وقد كانت لهم الجولة والفرّة كما قد بلغك -عن يوم أحد ويوم حنين وغير ذلك من الوقائع والأيام ، فلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري أن يحدث أن محمداً جال جولة قط ، ولا فرّة قط ، ولا خام (١) عن غزوة، ولا هاب حرب من كثره "

"الجاحظ"

أقوال

أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة، فطرحوا عليهم هذا الموضوع : سرّقت حقوق أمة ضعيفة، فاكتب كيف تشكرها على هديتها..

"مصطفى صادق الرافعي"

"إن من ينبش في مخطوطات غيره مثل من ينبش في جيوب غيره".

"كاتب من داغستان"

"العالم الثالث هو أكبر متحف عالمي للحفريات السياسية ومخلفات الطغيان".

"د. جمال حمدان"

الرضا

محمد مصطفى حمام

ضل من يحسب الرضا عن هوان	أو يراه على النفاق دليلاً
فالرضا قدرة على النفس ، والسأ	خط يحيى للنفس عبداً ذليلاً
والرضا نعمة من الله لم يسد	عد بها العباد إلا قليلاً
والرضا آية البراءة والإيد	مان بالله ناصرأ ووكيلاً

الحضارة الغربية
حضارة متدينة

محمد بن حامد الأحمرى

الذين نقلوا لنا الحضارة الغربية نقلوها إلينا بلا دين ، وصوروها بأنها كانت خالصة من سلطان الدين ، وذلك محض خداع وكذب على القارئ في العالم الذي تعامل مع الغرب بلا وعي ، إذ نجد المثقف أو الدارس للعلوم الطبيعية يرى أن الحضارة الغربية قامت على البعث الأوربي "النهضة" وعصرها، وينسى حركة الإصلاح الديني ، ينسى البروتستانتية وينسى مارتن لوتر وما قام به كالفن ، بل ويدرس تاريخ هذه الحضارة بعيداً عن حقيقته بل تاريخ هذه الحضارة الغربية عندنا هو تاريخ العلمانية لا تاريخ الحركة الحضارية، وبحكم أن ثقافتنا كما صاغوها لتكون على نمط الغربية فقد نقلوا لنا الصورة مشوهة، كان الواقع الذي مثلوه مشوهاً وغير قادر على الحياة عندنا، فالثقافة الغربية في أذهاننا وفي الجرائد والمجلات والكتب التي نقرأها ليست هي التي يعيشها الناس هناك في حياتهم اليومية بل هذه جانب فقط .

يقول الكاتب الصيني والزعيم المعروف فانج ليزهي في كتاب "هدم سور الصين العظيم" (١):
"المفكرون الصينيون يعرفون بعض الشيء عن النهضة الأوروبية ولكنهم يعرفون قليلاً عن الإصلاح أو لأنهم يركزون على الأول ويقللون الآخر وهذا التعامل جاء من قلة فهم التاريخ الغربي".

قطعاً لم يكن الإصلاح "الديني" أقل تأثيراً من النهضة، وفي الحقيقة لم يكن الاثنان منقطعين في اتصالهما. وفي تعليقات هينريتش هينتز على تاريخ الفكر الغربي - قال :- "أول شخص يناقش هو مارتن لوتر لدوره الكبير في الفكر الغربي. وبلا شك هذا ما جعل هينتز يركز على ألمانيا، ولا حاجة للنقاش أن الإصلاح الديني كان مؤسساً لأفكار جديدة في الغرب" (٢).

والذي حدث في الصين هو نفسه الذي حدث في البلاد الإسلامية حيث لا تعرض الثقافة الغربية كما هي فعلاً، بل يعرض منها الجانب المادي فقط والإلحادي، ولا يذكر بالمقابل الفكر الديني أو الحياة الدينية لهم، وذلك لأسباب منها:

حساسية اتصال المثقف المسلم بالثقافة النصرانية، ذلك لأن هذا المترجم أو الدارس مسلم أو نصراني من المشرق، ولكلا الرجلين خلاف مع الدين الغربي، ولا يمكن أن يكون متديناً بدينهم، لذا فهو يستبعد هذا الجانب، ثم إنه لا ينتقف هذه الثقافة الدينية الغربية، فهو إن كان مسلماً متفلاً من إسلامه فهو أكثر تفلاً من النصرانية، وإذا كان نصرانياً شرقياً فإن نصرانيته الشرقية مختلفة مع الكنائس الغربية لبعدها الفرق الديني فيما بينها، فإن كان قبطياً أو مارونياً أو أرثوذكسياً عربياً فكل هذه الديانات النصرانية تختلف مع الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية الأوروبية، أو لا يحب أن يظهر أمام المسلمين بأنه متعصب للنصرانية الغربية وفكرها.

والمسلم يتحاشى الخوض في هذه الاتجاهات إن لم يكن متديناً، وإن كان متديناً فهو يواجه هذه الديانات بالكراهة أو الرد، ويتجاهل دور هذه الأديان في السياق التاريخي للعالم الغربي. فتكون الصورة التي ترسم في أذهاننا أن الغرب لا يدين بدين وهذه أغلوطة كبيرة. وسبب آخر أن الدول الغربية قامت على علمانية الدولة، بحيث تخلصت من صراع الكاثوليك والبروتستانت على الحكومات، وحروبهم الدينية، وتحكم الكنيسة، وهروبها من تحكم الكنيسة لا يعني إلحاد الحاكمين، أعني هنا أنها ضد الدين أو أنها ضد الدين أبداً، بل الحكومات الغربية مضطرة لمصلحتها السياسية والقومية أن تقف هذا الموقف من الأديان المكونة لها وليس من أديان الأقرب.

جانب مهم آخر أن المثقفين الغربيين الذين تصدروا الثقافة الغربية في مرحلة صلتنا بها هم نقاد الحياة الغربية والتي ينتقدون فيها الدين المتحكم، فانعكس ذلك علينا فكنا نأخذ نقدهم للكنيسة وللاستعمار على أن هذه هي الحياة الفكرية عندهم وأنها هجوم على أديانهم وخلقهم، وننسى الحقيقة التي يعيشها الناس باستمرار هناك، إذ لا تقوم حياة قوية إلا بجانبها الديني وجانبها الاقتصادي.

والعامل المهم الآخر أن وكلاء الثقافة الغربية في بلاد العالم الإسلامي كانوا من اليساريين وأشباههم وهم يميلون إلى أمثالهم هناك، فلهذا لا ينقلون إلا ما تميل إليه مدارسهم وانتماءاتهم الغربية أو ولاءاتهم، ويضربون صفحاً عن النقد الموجه لليسار أو للتيارات الإلحادية هناك، حتى لتجد أن الثقافة الغربية المعروفة لدى جماهيرنا هي الثقافة الإلحادية الغربية فقط، ولا ينقلون لنا ماهية الحياة الثقافية كما هي، وبالإمكان إجراء مقارنة سريعة بين كاتب فرنسي ملحد اسمه سارتر؛ وبين زعيم ديني ألماني اسمه مارتن لوتر. الأول نشر وجودية كيركجار مع تعديلات إلحادية مهمة وطورها، والآخر كان زعيم حركة الإصلاح الديني. ولوتر الذي كان وراء حركة البروتستانتية وإنشائها - مع غيره - والتي كونت أكبر ديانة في العالم الغربي وبها تدين أمريكا والشمال الأوربي وكانت سبباً مهماً في التكوين الديني والاقتصادي في شمال أوربا وأمريكا - على الأقل كما يرى ماكس فيير - مقارنة ما نشر عنه في اللغة العربية مع ما نشر عن سارتر لا تقارن بأي حال. فهذا سارتر صار له عندنا أتباع كثيرون وكتاب يستميتون في الدفاع عنه - كأنيس منصور - وكان للوجودية شيخ عربي - عبد الرحمن بدوي - كما لقب بعد نشر كتابه إثر الاحتفالات بقدم سارتر لمصر. قد يكون ذلك لسهولة الإلحاد على البعض عندنا ولأن فكرهم وجد دعماً إعلامياً قوياً وحكومياً أيضاً. ومارتن لوتر لم يجد في البلاد العربية ما وجده الملحدون. ذلك لأن الحديث عن الإصلاح الديني والبروتستانتية الأوروبية قد يجر إلى الاهتمام الديني في الإسلام وذلك ما لا

يتفق مع التوجهات الجارية منذ ذلك إلى اليوم ، إذ المطلوب من الفكر في العالم الإسلامي والعربي أن يحارب الدين ويتنكر لدوره الأول في نجاح الحياة وعزة الشعوب واستقلاليتها، وبما أن الدين هو الروح المحركة والدافعة للعزة والكرامة والإخلاص فلا بد من إقناع شعوبنا المسلمة بعدم أهمية ذلك، لأنه لا يراد بها إلا الدمار والانهيـار عندما تبعد عن الدين، حتى وصل الأمر بنا أن جامعاتنا التي تدرس التاريخ الأوربي لا تقف عند الأثر الروحي والأخلاقي الذي تبثه الكنيسة البروتستانتية، فالكتب المترجمة أو التي تدرس عنـدنا عن فكرهم وحياتهم هي كتب منتقاة إحادية المشرب. وأيضاً فعند الذين تعاملوا مع الثقافة الغربية في زماننا عقدة من الدين وحاجز لا يكاد ينفـتـح، إما لمشكلة في شبابهم مع الدين الرسمي وممثليه؛ وإما لجهلهم به جهلاً مانعاً من إدراكه، وإما للانحرافات التي تغطي على روح الإسلام فلا تنفذ لقلوبهم ، لذا تجدهم في عماية وكراهية أحياناً من ذكره وإن تعاملوا معه كانوا مكرهين يائسين مدفوعين إلى مشكلة يحبون الخلاص منها بأسرع وسيلة. غير أن الواقع الآن يدل على أنهم غادروا هذا الوهم وبدأت ملامح إقبال كبير على الاهتمام بهذا الجانب الإيماني لم تكن بارزة من قبل (٣).

والذي يهم معرفته في طبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي أن جوانب أساسية من الفكر الغربي والسلوك الغربي نفسه هي جوانب يحرم الغرب تصديرها، ويقف موقفاً شرساً ممن يفكر في تصدير هذه الجوانب وتعليمها للناس ، ومنها الاهتمام بالدين ونشره ووعيه ، فيسمح بالتجمعات الدينية هناك ولا يسمح بها الغرب في العالم الإسلامي ، لأنها قد تقلب الموازين الفكرية المطلوبة، ومنها اللغة إذ يحرم الغرب بشراة سيادة اللغة العربية والتعليم العلمي بها، ويحارب الوعي السياسي والحريات السياسية والديمقراطية في المستعمرات، كما يحارب الصناعات الأساسية والعسكرية، ويحارب الأمن الغذائي والنمو الاقتصادي ، ويحارب كل وسيلة يمكن أن تسمح باستقرار ووعي صحيح بحقائق العالم المعاصر وأفكاره. ولم يعد غريباً اليوم أن نجد أنفسنا عاجزين عن فهم الآخرين ، لأننا أعطينا جانب واحد فقط وبقيت الصورة مشوهة وغير مدركة. ولذا فحلولنا جزئية مبتسرة لا تنطلق من إدراك واع للذات ولا إدراك واع للآخرين. حتى عند من يزعمون ذلك أو يقومون بدور الوكيل لنشر الأفكار الغربية. الحضارة الغربية اليوم حضارة فيها جانب الدين مؤسس وقائم بدور رئيس في صياغة الحياة والفكر والتماسك في المواقف السياسية تجاهنا وبشكل لا يقاس به ما كتب عنهم في لغاتنا ولا يقاس به الموقف الرسمي في عالمنا الإسلامي.

وعندما نقول حضارة متدينة فهذا مقابل كلمة ملحدة في الكتابات العربية المعاصرة، والتي تعني بالإلحاد ما رأت في روسيا الغابرة. ومصطلح : "العلمانية" المتداول في العالم العربي اليوم ، ليس هو المطابق الصحيح تماماً مع مفاهيم العلمانية الغربية، إذ ما يسمى بالعلماني الغربي اليوم، عنده قاعدة ولاء وانتماء لجنس ودين في بلده، ويتعامل مع العالم من خلاله لا تجدها في علماني العرب ، إذ يفتقدون هذه القواعد، ويخفون على غير منابرهم كلاماً ليس لهم في جماهير لا تفهمهم ، لذا لا يثمر شيئاً.

الهوامش :

١- Bringing Down The Great Wall , Knopf, New York , 1990

٢- المصدر السابق ص ٥٣

٣- لوحظ أن المؤتمر الفلسفي الذي عقده الجمعية الفلسفية المصرية، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٢٧-٢٩ يونيو ١٩٩٢، كان عبارة عن تظاهرة إسلامية ولم يحدث ذلك من قبل في جمعية علمانية، منبر الحوار عدد ٢٦ خريف ١٩٩٢ ، السنة السابعة، ص ١٤٦.

تعدد الزوجات في إطار الضوابط الشرعية

منى عبد الله داود

لقد أصبحت قضية تعدد الزوجات من القضايا الحساسة الحرجة في واقعنا المعاصر، خاصة في محيط العنصر النسائي، وللأسف أن شمل ذلك الفئة الملتزمة بالدين، والتي يتوقع منها خلاف ذلك، إذ الإيمان كفيل بتهذيب النفوس، وتربيتها على التسليم بكل ما جاء به الشرع، "فالاستسلام ابتداء هو مقتضى الإيمان وبه تتلقى النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، وسرعة التنفيذ" (١)، فأغلب النساء المتزوجات أو غير المتزوجات، ينزعجن من مجرد طرق هذه القضية على مسامعهن، وينحون بها منحى الكرامة الشخصية، والمساواة، وظلم المرأة وبخس حقوقها وغيرها من الدعاوى التي شاعت وعدت من المسلمات، وخاصة إذا كان المتحدث في القضية رجل.. فإنه لا يسلم من سيل الاتهامات فهو المحور الرئيس في القضية، ومن ثم، يرى من الأسلم له ألا يدلي بدلوه فيها، وفي الحقيقة هذه القضية حساسة بالنسبة للطرفين الرجل والمرأة، ولكن ربما لو تحدثت فيها المرأة، فإن تأثيرها سيكون أوقع وأبلغ؛ لأن الطرف المتذمر فيها هو المرأة، ومن ثم، سيكون الحوار عن طريقها بعيداً عن الاتهامات التي دائماً ما تكون مصوبة نحو الرجل، خاصة إذا أخذ سياق عرض الموضوع إبراز مدى حاجة واقعنا المعاصر إلى بيان الضوابط العقدية والشرعية في قضية تعدد الزوجات بالنسبة للرجل والمرأة على السواء. فالناظر إلى واقعنا المعاصر يجد انحرافات كثيرة في مفهوماته وتصوراته لقضايا كثيرة في الدين، ومن هذه القضايا قضية تعدد الزوجات؛ إذ شوهدت صورته وعُرض عرضاً منبئاً عن أبعاده الإيمانية من قبل أعداء الإسلام، ومن قبل سوء تصرفات من ينتمون إلى الإسلام من الرجال الذين أسأوا إلى المرأة باسم إباحة التعدد هكذا على إطلاقه دون ضوابط وأسس إيمانية واعية للمقصود الحقيقي من وراء التعدد، كما أن جل النساء - حتى من يعرفن بالالتزام الديني - أصبحن يرفضن هذه القضية ويبدن تأففهن منها.

إن قضية التعدد هي ثغرة استغلّت من قبل أعداء الإسلام، فهي على صعيد العنصر النسائي تقابل في نفس المرأة شهوة الاستنثار بالرجل دون غيرها من النساء، ومن ثم، فهي تنزع لذلك إلى النفور من التعدد، وعلى صعيد الرجال تقابل إشباع ميله إلى النساء بصورة كبيرة، وبالتالي قد ينسى في غمرة ميله هذا أو في غمرة الجهل بالدين ما لهذه القضية من ضوابط ومفاهيم إيمانية يجب أن تراعى.. ومن ذلك نرى أنها ثغرة أحكم انتقاؤها لزعزعة عقيدة الأمة والإخلال بكيانها الاجتماعي، إذ سنلمس ذلك من خلال عرض عواقب ذلك على الأمة وكيف تم..

فمن وسائلهم في ذلك، الغزو الفكري عن طريق الطعن في الإسلام من خلال هذه القضية، والخوض فيها.. الخ، والغزو الإعلامي الرهيب عن طريق وسائل الإعلام جميعها، وخاصة المذياع والرأي (التلفزيون والسينما)؛ إذ عرضت التمثيليات والأفلام التي تمثل أن التعدد ظلم للمرأة وإهانة لها وخيانة من قبل الرجل، وصور الرجل الذي يعدد بالقسوة والظلم وتعمد الإهانة للزوجة الأولى وبخسها حقوقها الزوجية.. الخ، أو تصوير الإباحة لحالات خاصة دون سواها كالعقم والمرض وما شابه ذلك.. من خلال هذا العرض الوجيز المذكور آنفاً، أصبح هناك قلب في المفاهيم تجاه قضية التعدد في حياة المسلمين، ومما ساهم في زيادة ذلك ما وصل إليه حال أغلب المسلمين من جهل

بالدين عظيم ، إذ وجد من يعدد دون وعي بالمستلزمات الشرعية لذلك ، من أداء للحقوق وصيانة لكرامة المرأة والحرص على عفافها واتقاء الله في حسن معاملتها، فشوه التعدد من قبل هؤلاء، وبذلك اجتمعت الوسائل المرئية والسمعية والواقعية على تشويه هذه القضية، لدرجة أن أصبح من المسلمات في حياة كثير من المسلمين أن الأصل هو الاكتفاء بواحدة وأن الشاذ هو التعدد مع أنه قد يكون العكس هو أصح(٢).

كما أن هناك ملاحظة قد تختص بواقعا المعاصر وما آل إليه من جراء ذلك ، بيانها في النقطة التالية :

- ١ -

بروز ظواهر اجتماعية مثل :

- انتشار ظاهرة العنوسة بين الفتيات وبقاء أغلب الأرامل والمطلقات بدون زواج.
ولا يخفى على البصير عواقب هذا الأمر، الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً بقضايا فطرية إنسانية، قد لا تقوى على تهذيبها، إلا من رحم الله بالإيمان ، فأشباع الحاجات الفطرية وتحقيق الاستقرار النفسي والسكن ، لا بد له من شريكين ، الرجل والمرأة، قال تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) [الروم ٢١]. فهذا الذي فطر الله الناس عليه ، والمجتمع الإسلامي ينبغي له أن يكون متكافلاً متعاوناً على البر، ومن البر تحقيق الصون والعفاف لأفراده ، وإعانتهم على تيسير الزواج ، وعدم ترك المطلقة، والأرملة دون زوج ، فهذا من شأنه أن يثير الفتنة في المجتمع ويشجع على ارتكاب المحرمات ، خاصة وأنها في مجتمعات تكالبت الوسائل فيها على بث الإباحية والمجون والفساد، وبالتالي كان لزاماً سد أبواب الفتنة والانحراف ، بالوسائل الشرعية الفاعلة.. فأبي عفاف وصون أعظم للمرأة من الزواج والستر؟!..

- ٢ -

قضية دعوية تديمية لتحقيق صلاح المجتمع المسلم :

وبيان ذلك في التالي : إذ من الملاحظ قلة عدد من يرتجى فيه الصلاح في مجتمعاتنا المعاصرة، وهذا الأمر يمثل خطراً كبيراً إذا لم يتلاف بجميع الوسائل ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن أول ما يتبادر إلى ذهن من يهتم بشؤون المسلمين في زيادة عدد الصالحين هو الدعوة إلى الله بالوسائل المعنوية والإعلامية والتعليمية وتربوية وغيرها، وهنا ترد وجهة نظر في عرض وسيلة أخرى مجدية -إن شاء الله- وهي : وعي الفئة الصالحة من الرجال بفائدة تعدد الزوجات وتطبيق ذلك ، إذ إن من استبان صلاحه يتوقع منه حسن تطبيق التعدد، بل وتحقيق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته من بعده في التعدد، فيصح مفهوماً قد شاع سوء فهمه بين الناس ، بالإضافة إلى ترقب أن يرزقه الله بالذرية الصالحة والتي سيتقي الله في تنشئتها النشأة الصالحة الفاعلة في المجتمع بإذنه تعالى، ولو مثلنا لذلك بمثل عددي ربما وضح القصد، وهو أنه لو اكتفى الرجل الصالح بزوجة واحدة فإن نتاج ذلك -إن شاء الله- من الذرية على أقل تقدير أربعة من البنين والبنات وسيتوقع أن يكون أغلبهم من الفئة الصالحة الفاعلة لصلاح أبيهم وبركة تقواه - إذ شرط الصلاح في هذه القضية مهم جداً -، ومن ثم سيكون مكسب المجتمع المسلم (زوجة صالحة + فئة من الأولاد الصالحين) ، ولكن لو عدد هذا الرجل الصالح وأعانه المجتمع المسلم على ذلك ، فإن مكسب المجتمع المسلم سيكون أكثر بكثير من البنين والبنات من ذوي الصلاح والفاعلية -إن شاء الله- ، ومن ثم ستكون هناك زيادة في عدد الصالحين. ويلاحظ أن الزيادة المرتقبة ليست قليلة بل هي ربما تعادل ثلاثة

أضعاف أو أكثر حسب مشيئة الله ، وقد لا يخفى على المسلم البصير أن هذا النفع الدعوي من التعدد، ربما كان هو الذي حدا بأعداء الإسلام إلى محاربتة ، وخاصة بين الفئة التي يرجى صلاحها وفعاليتها في المجتمع المسلم ، كما أنه من واقع تطبيق التعدد في حياة مجتمع القدوة في عهد السيرة والراشدين ، قد يندر أن يكتفي صحابي بزوجة واحدة، أفلا يجدر بنا ونحن في هذا الواقع المرير أن نتدبر أسباب ما آل بمجتمعاتنا الإسلامية وما وصلت إليه من حال بنئس في جميع المجالات ، وخاصة المجال الاجتماعي الذي أهمل شأنه طويلاً حتى أصبحت قضاياها ظواهر اجتماعية بارزة للعيان قد يصعب تداركها الآن بعد أن استفحل خطبها، فإله المستعان وعليه التكلان ، وعسى أن تثوب هذه الأمة إلى رشدها، وتلمس حقيقة الثغور التي توتى من قبلها فتسارع إلى حراستها بالنفس والنفيس.

- ٣ -

عزوف أغلب الفتيات عن الارتباط بالرجل المتزوج ، مما ثنى كثيراً من الرجال عن التفكير في التعدد، بل والحياء من قضية عرضه ، سواء في محيط أسرته أو في محيط المجتمع؛ إذ معظم الناس في مجتمعاتنا ينظر إلى القضية على أنها قضية أهواء شخصية محضة. وتفنيد ذلك يتطلب معطيات إيمانية قوية، وممارسات شرعية ظاهرة، والمقصود بذلك :

١- تصحيح المفاهيم ، ببيان حقيقة التعدد والضوابط العقدية والشرعية فيه من تقوى الله عز وجل ، وإخلاص التوجه إليه في الإقدام على هذا الأمر، والحرص على الذرية الصالحة، وتكثير الفئة الصالحة في المجتمع ، وتحقيق العفاف لنسائه والرقى بهن إلى مصاف نساء السلف الصالح فكرياً وممارسة، والأخذ بيد المرأة المسلمة إلى تقديم دينها على ما سواه في حياتها، وتحكيمها لشرع الله ورضاها به وتسليمها لما جاء به ، فسعادتها في تحقيق دين الله في نفسها ومحيط أسرتها، وإن وهبها الله فقهاً في الدين فلتكن خير معين لأختها في غرس بذور الإيمان بأحكام الشرع والرضا بالتسليم بها، فكرياً وممارسة، وتنقية النفوس مما من شأنه أن يثير البغضاء والشحناء، ولتعلم أن خير معين لها في ضبط سلوكياتها وانفعالاتها وتوجيه أفكارها هو التمسك بدينها والفقهاء فيه والعمل به ، إذ به تتحقق المقاصد الإيمانية، وتتهذب النفوس والطباع ، ولا غرو أن حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على الزواج من ذات الدين وتفضيلها من بين النساء، بقوله : "تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فإظفر بذات الدين تربت يداك" (٣)، لأن من جعلت إيمانها نصب عينيها، وسعت جاهدة في خدمة دينها، وتيقنت أن الدنيا دار ابتلاء وفناء، وأن الآخرة هي دار القرار والبقاء، فإنها لن توصل أبواب الخير في سبيل أعراض دنيوية ومصالح ذاتية، وستحاول أن تجعل نظرتها لما شرع الله من أحكام ذات أبعاد إيمانية، تغرس في نفسها الرضا والتسليم بحكم الله ورسوله ، قال تعالى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) [النساء ٦٥]، وحينئذ يمكنها أن تنظر إلى قضية التعدد على أنها باب من أبواب الخير والدعوة إلى الله ، فزوجها يمثل الرابط المشترك بينها وبين أختها في الله الثانية أو الثالثة أو الرابعة، وأبناؤها وأبناء أخواتها في الله هم أخوة لأب واحد، وإن أبناءهم هم أبناؤها، ومن ثم فالعلاقة وثيقة قريبة، فلنتعاون هي وأخواتها في الوعي بحقيقة هذا الدين ، والوعي بالتربية الإسلامية الحقّة التي يترتجى منها جيلٌ قوي يعيد لهذه الأمة مجدها وعزتها، ولتعلم أن هذا الأمر لا يمكن أن تقوم به جهود أفراد، وأن القضية في حاجة ماسة إلى جهود جماعية واعية بصيرة، وأنّى لهذه الأمة بهذه الجهود الجماعية الفاعلة دون مشاركتك أنت، أيتها المرأة المسلمة؟!.. فالرجل الصالح يحتاج لمن يأخذ بيده

ويدفعه للأمام دائماً، فما بالك إن تعاونت أنت وأخواتك على ذلك؟.. وتعاضدتن على حسن تربية أولاده ومعاونته في ذلك ، فيد الله مع الجماعة أينما كانت ، والقضية قضية إيمانية في الدرجة الأولى تحتاج منك أيتها المرأة المسلمة تجرداً ذاتياً لله تعالى، وتوجهاً خالصاً في خدمة هذا الدين، وتطلعاً إلى تحقيق واقع جيل القدوة في حياتنا المعاصرة، فأمهات المؤمنات الطاهرات خير قدوة، والصحابيات العفيفات خير أسوة.. وكوني على يقين أن الله تعالى سيعوضك خيراً، ولن يضيع عمك الذي ابتغيت به وجه الله راضية مسلمة بحكمه ، مقتدية بسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من بعده ، قال تعالى : ((أَنْتِ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتِ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ)) [آل عمران ١٩٥]..

٢- الحرص على الممارسات الشرعية في التعدد من قبل الطرفين الرجل والمرأة، ويقصد بذلك ضبط السلوكيات ضمن ضوابط الشريعة، وتوجيهها في إطار العقيدة، أي محاولة أن يكون الهدف من وراء التعدد من قبل الرجل ، وقبول الزوجة به ، ذا أبعاد إيمانية، يعلوها صدق التوجه لله في ذلك وطلب مرضاته بخدمة هذا الدين ، وتحقيق العفاف في صفوف أفراد المجتمع الإسلامي ، وتكثير الذرية الصالحة، وضبط الممارسات تبعاً لهذه الوجهة العقديّة الشرعية والتي تكفل انضباط الأخلاقيات ضمنها على قدر رسوخها واليقين بها، والتي تجعل قبول المرأة للتعدد يتوجه للتسليم الخالص به ابتغاء مرضاة الله، وخدمة دينه، وتجعل شراكة الزوجات، شراكة إيمانية قوامها التعاون على البر والتقوى، ومعينها سعة صدر المؤمنة لكل ما من شأنه خدمة هذا الدين، والمساهمة في تربية جيل يرتجى صلاحه وفاعليته : ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [التوبة ٧١].

فحسى الله أن يرحمنا ويعفو عن تقصيرنا في فهم هذا الدين، والوعي بعظم مقاصد شريعته، ونرجو أن يرزقنا الفقه في الدين ، وتمثله فكراً وممارسة في سبيل واقع أفضل.

الهوامش :

- ١- انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٢/١٠٠٩ ،
- ٢- انظر : أبو عبد الرحمن ، فضل تعدد الزوجات ، ص ١٧-١٩ (إذ أورد فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز في تعدد الزوجات).
- ٣- صحيح البخارى، ١٩٥٨/٥ ، كتاب النكاح ، باب ١٦ ، ٤٨٠٢ .

البيان الأدبي

إسلامية الأدب.. لماذا وكيف؟ (٢)

د. عبد الرحمن صالح العشماوي
الشبهة الثانية:

يدعي بعضهم أن الأدب الإسلامي يحول بين الأديب وبين الإبداع الفني الذي يحقق المتعة للقارئ فهو أدب وعظ وإرشاد فقط ، وأقول: إن الذين يطلقون هذه المقولة لا يبحثون عن الحقيقة بحثاً علمياً جاداً وإنما يتأثرون - غالباً - بما يشاع ويقال. وأذكر أن دكتوراً وأديباً وشاعراً من بلد عربي قال لي ذات يوم: إن نجيب الكيلاني يفتقر في قصصه ورواياته إلى الإبداع الفني ، إنه كاتب سردي فقط وبعد نقاش بيني وبينه تبين لي أنه لم يقرأ لنجيب الكيلاني شيئاً، وإنما قرأ عنه

بعض ما كتب نقاد غير منصفين ممن يختلفون مع الكيلاني في المنهج، واتفقنا أن يقرأ ذلك الدكتور رواية "عمالقة الشمال" للكيلاني، وقرأها ثم قرأ رواية "عذراء جاكرتا" للكاتب نفسه فتغير حكمه على نجيب الكيلاني من النقيض إلى النقيض.. هذه قصة حدثت أحببت أن أقدمها في بداية الرد على هذه الشبهة.

وأعود إلى صلب الموضوع فأقول : الأدب الإسلامي راعى في التعريف الموضوع له جانب الإبداع الفني ، فقد مر معنا في تعريفه أنه "التعبير الفني الهادف" فكلمة الفني شرط في الأدب، إذ أن من أهم الفوارق بين النص الأدبي وغيره "الإبداع الفني الذي يحقق المتعة"، وهذا الإبداع لا يخضع لشروط مقننة محددة، وإنما هنالك إطار عام متعارف عليه في مجال الأدب يتكون من سلامة اللغة، وحسن الأسلوب، وصدق التجربة الشعرية، وجمال التصوير، ثم إن للكاتب أو الشاعر بعد ذلك أن يتفنن في أدبه بما يحقق المتعة الفنية، طويلاً وقصراً، رمزاً وإيحاءاً أو وضوحاً ومباشرة وهذا الجانب الفني ليس وقفاً على أحد بل هو مشاع بين الأدباء على اختلاف مشاربهم ولغاتهم، يبدع فيه من يبدع ويخفق فيه من يخفق، وإذا تحقق في النص الأدبي ذلك الإطار العام للإبداع الفني فليس من حق أحد من النقاد أن يلغي هذا الجانب في نص ما بسبب اختلاف في المنهج والفكر. وعندما يعني الأدب الإسلامي بجانب الإبداع الفني فإنه لا ينطلق في ذلك من التقليد للآخرين، وإنما يعتمد على رؤية إسلامية أصيلة، عني بها القرآن الكريم في أسلوبه المعجز. كما عني بها أشد العناية الرسول -عليه الصلاة والسلام-. أما القرآن الكريم فهو واضح لكل مسلم يقرؤه بتدبير ولا يهجر تلاوته وتدبره منشغلاً عنه انشغالاً كلياً أو جزئياً بنصوص الأدب وأحكام النقاد قديماً وحديثاً. ولعل في كتاب "التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب - رحمه الله - ما يغني ويشفي.

أما عناية الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجانب الفني فتؤكد الروايات الصحيحة في هذا المجال. ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم من أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعا الشعراء إلى المناقحة عن الإسلام ، فأنشده عبد الله بن رواحة فلم يُرَضْ وأنشد كعب بن مالك فلم يُرَضْ ، ثم بعث إلى حسان ودعا له وقال : إن روح القدس - يعني جبريل عليه السلام - يؤيدك (١)، وتتساءل هنا، ما الذي جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يختار حسان ويفضله على صاحبيه ، مع ما نعلم من حبه - صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك؟

إن الإجابة الشافية على هذا السؤال موجودة في كتب الأدب التي جعلت حسان بن ثابت فحلاً من فحول الشعراء، فهو من الشعراء البارزين في سوق عكاظ ، وقصصه في التنافس مع فحول الشعراء معروفة، وقد ذكر ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء أن حسان يعد أشعر أهل القرى يعني بذلك مكة والمدينة والطائف ، وشعر حسان دليل على قدرته الفنية.

إذن فاختيار الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحسان بن ثابت لم يكن اختياراً عشوائياً وإنما كان مبنياً على رؤية نقدية واضحة، كيف لا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الخبير بمواطن القوة والضعف في اللغة العربية أليس هو الذي قدم حسان عندما جاء إليه وفد تميم ، وكان حسان حينها غائباً فانتظره حتى جاء فألقى قصيدته المعروفة :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنةً للناس تتبّع

حتى قال وفد تميم : إن هذا الرجل المؤتى له ، لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا(٢)، ومما يؤكد عناية الإسلام بالجانب الفني في الأدب ما رواه جلال الدين السيوطي في كتابه "الدر المنثور" حيث ذكر أن الصحابة قالوا لعلي -رضي الله عنه- : أهج شعراء المشركين ،

فقال لهم : استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فاستأذنه فقال لهم -عليه الصلاة والسلام- : ليس بذاك ، ابعثوا إلى حسان.

لماذا حسان؟؟

لأنه شاعر فحل قادر على تصريف الكلام وصياغته بأسلوب فني رفيع. ليس هناك تفسير غير هذا، ولو لم يكن مقياس الاختيار فنياً، لما اختار الرسول -عليه الصلاة والسلام- حسان وفضله هنا على عليّ ، فإن ابن عمه أحب إليه وأقرب من حسان ، ولكنها الإجابة في الشعر قدمت حسان بن ثابت هنا. إذن فالإبداع الفني شرط رئيس لا يمكن التنازل عنه من قبل الأديب المسلم ، وهذا الإبداع متوفر في الأدب الإسلامي قديمه وحديثه وإنما تجاهله من تجاهل ، وعمي عنه من عمي ، خاصة بعد أن استحكمت "الشلية" في ساحة الأدب فأصبح التصنيف مبنياً على آراء شخصية، نصيب العدل والإنصاف فيها قليل.

أما قضية الوعظ والإرشاد فهي من القضايا التي يظلمها كثير من النقاد المعاصرين ، فهي ليست عيباً فنياً في ذاتها، وإنما تكون عيباً حينما يقف عندها الأديب فلا يتجاوزها، أو عندما يقدمها إلى الناس خالية من التصوير الفني ، والأدب الإسلامي ينظر إلى النصوص الأدبية التي تحمل وعظاً وإرشاداً بمنظار فني دقيق ، فإذا توافر فيها الإبداع الفني صياغة، وخيالاً وصدقاً في التجربة فهي أدب جميل ، وإن كانت وعظاً، وإذا لم يتوافر لها ذلك الإبداع فهي غير مقبولة فنياً. ومما ابتلي به الناس في ظل الآراء النقدية المذبذبة بين المقاييس الغربية والعربية، أنهم إذا سمعوا حكماً نقدياً تعلقوا به دون تدقيق وتمحيص. وإلا فإن من الأدب الوعظي ما هو في قمة الإبداع الفني ، وما شعر أبي العتاهية عنا ببعيد، وفرق كبير بين شاعر يتحدث عن الموت حديثاً جامداً جافاً، وبين آخر يصور لنا وقع الموت على نفسه تصويراً يدفعنا إلى التفاعل معه والتأثر به.

إن الذي دفع بعض نقاد هذا الزمان إلى مواجهة فكرة الأدب الإسلامي بالرفض هو تأثرهم بالآراء النقدية الغربية والانشغال بها كلياً عن حقيقة الأدب الإسلامي ، فيكون استقراؤهم للنصوص ناقصاً. ومن ثم تكون أحكامهم النقدية غير سليمة، لأنه يريدون أن يكون شاعر أو روائي إسلامي نسخة مكررة من شاعر أو روائي غربي ، وهذا أمر مخالف لطبيعة البشر.

إنني أرى في حكم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على شعر زهير بن أبي سلمى رؤية نقدية جديرة بالاهتمام ، وهي مرتبطة بالجانب الفني حيث وصفه بقوله : كان لا يعاظم في كلامه ولا يأتي بوحشي اللفظ ولا يمدح أحداً إلا بما فيه. ففي هذه المقولة إشارات نقدية فنية.

فكلمة "عاظم" في مدلولها اللغوي تعني الاضطراب وعدم التنسيق فهي في القاموس تعني تراكم الأشياء فوق بعضها دون ترتيب ، فأنت تقول : عظم الجراد، أي ركب بعضه بعضاً، وعاظم فلان في كلامه ، أي : عقده ووالى بعضه فوق بعض وكرّره ، وتقول : عاظم الشاعر في القافية : أي علق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقلُّ بالإفادة، وتقول عاظم في الكلام: أي أتى بالرجيع من القول. فمعنى المعاظلة هنا إخلال بفنية القول، وذلك ما لا يقع فيه الأديب المبدع أو الشاعر المجيد، فهنا مراعاة واضحة للجانب الفني من قبل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، ومثل ذلك قوله : ولا يأتي بوحشي اللفظ. إنها عبارة دقيقة تدخل في صلب الإبداع الأدبي ، ثم يشير عمر بن الخطاب إلى قضية أدبية مهمة تحدت وما يزال يتحدث عنها النقاد كثيراً، ويعدون شرطاً من شروط الإبداع في النص الأدبي ألا وهي "صدق التجربة الشعورية" فكلمة "لا يمدح أحداً إلا بما فيه" توحى بهذا الجانب الفني المهم (٣).

ومن هنا كانت قضية "الإبداع الفني" أصيلة في الأدب الإسلامي إنها تتبع من الرؤية الإسلامية الناضجة للأدب بصفة عامة، وليس قضية عابرة، ولا أمراً وافد علينا، والأدب الإسلامي يرى أن

الإبداع الفني ينبثق من التراث الإسلامي أصلاً، ثم يفيد من التجارب الحديثة، أي أنه يُبنى على قاعدة أصيلة، فهو ليس قفراً في الهواء.

وأقول : أن شبهة إهمال الأدب الإسلامي للإبداع الفني باطلة، وإنما روج لها أدونيس وأمثاله الذين لا ينظرون إلى الماضي ولا يرتبطون بتراثهم إلا بما يخدم وجهة نظرهم المحددة القائمة على التساؤل الرافض لكل شيء يمت إلى أصالة الأمة الإسلامية القائمة على الدين بصلة، وبهذا يقولون بوجود تبني المشروع الحدائث الذي يعني أن نتساءل عن الدين والشعر ما هما، أي دين وأي شعر؟ (٤)، (*)

أما الأدب الإسلامي فهو يعرف الدين تماماً، ويعرف الشعر والأدب. ولهذا فهو يشكل نقطة الضوء التي يمكن أن يستدل بها الجيل في سرايب الأدب المعاصر المظلمة.

الهوامش :

- ١- انظر صحيح مسلم ، باب فضائل حسان بن ثابت -رضي الله عنه-.
 - ٢- انظر الجزء الرابع من سيرة ابن كثير، ص ٨٢ وما بعدها.
 - ٣- انظر لمعرفة الخبر بتمامه ، كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، ١/١٨٨
 - ٤- راجع صدمة الحدائث لأدونيس ص ٢٥٨ وما بعدها.
- *- ونحن نقول : بل إن أدونيس هذا وأمثاله ينظرون إلى الماضي وينظرون إلى الدين ولا ينكرون تأثيره ولكن أي دين؟ دين القرامطة ودين الحلاج وغيره من المارقين.

- البيان -

إلى متى؟

محمود مفلح

إلى متى والليل لا يرحل وكلُّ هذا العهرُ لا يخجلُ؟
والساق لا تسأل عن ساقها والباب لا يورى ولا يقفل
إلى متى والشيخ لا يرعوي عن غيِّه ، والطفلُ لا يعقل
إلى متى والريحُ في أرضنا تعوي ، وهذا الجبن يستبسل؟
والسهلُ لا يهفو إلى سهله والنهرُ لا نهزُّ ولا جدول
والجهل يقضي بيننا واثقاً والعقل لا يقضي ولا يفصل

إلى متى ينزو علينا الأسى والكأس من آهاتنا تثل؟!
وكل أهل الأرض قد مزقوا أكفانهم ، بل سافروا واعتلوا
ونحن في بحر خصوماتنا والنار غير الودِّ لا تأكل
راياتنا ألفُ بلا عزة أصواتنا من بعضها تجفل!!
والبلبل الغريد لا ينتشي والوردُ في أكمامه يذبل
وكلنا يا أمتي ظامىءٌ ودون هذا المنحنى المنهل..

يا أمتي يا أمتي إنني أبكي وصدري من أسِّ مرجل
أعزنا الله فماذا جرى حتى يهون النسرُ والأجدل؟!

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وعندنا يا أمتي مشعلٌ فكيف يخبو عندنا المشعل
ونحن قومٌ سادة في الورى ونحن من أسيادهم أفضل
فكيف ينأى المجد في أرضنا والنصر عن أسيافنا يذهل
وكيف نستنبت هذا الأذى وكلنا في حقه يوغل
وكلما مرّت ليال بننا رأيتُ فيها الخطبَ يستفحل

أضيق بالحرف وأشجانُه فالحرف في أفواهنا حنظلُ
الخيال كلّ الخيل صهالَةٌ ما بال هذي الخيل لا تصهلُ؟!
والناس شادوا ناطحات السما ونحن يغفو عندنا المعول
ننام والحال على حالها (اللهو والهَيِصَة والبرُّطل)
كم مرة همت بها أمتي همّت ورغم الهم لا تفعل!
كم مرة كان لنا محفلٌ وانفضّ عن أسراره المحفل

القدس ما زالت على حالها واللدّ والرملّة والكرملُ
والشعب ما زال بها صامدًا رغم العذاب المرّ يستبسل
يا أمتي يا كعبةً للهدى يا أيها السيف الذي يُصقل
ما زال نبض الحب في خاقي هلا يجيء القادم الأول
أرنو إلى تلك الوجوه التي فيها يضيء الليل بل يرحل
ما زال فينا عصبَةٌ حرة في كلّ يوم حبلها يُفتل
تمضي ويمضي الفجر في إثرها فيها يُرى تاريخنا المقبل

المسلمون والعالم

مشاهدات في بلاد البخاري

(٢)

د. يحيى اليحيى

٣- صمود المسلمين وتحديهم للإلحاد:

لقد قاوم المسلمون - ولا أعني جميع المسلمين - جميع موجات الكفر ومخططاته بعود صلب ،
وهمة عالية، وقناة لا تلين، وعزة بدين الله، وهذا يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون همّ الإسلام
في قلوبهم ، ومن كان يحمل همّ الإسلام في قلبه فلا بد أن يجد مجالاً ومخرجاً لتبليغ دين الله تعالى.
فكان من مظاهر مقاومة المسلمين للإلحاد ما يلي :

- ١- عدم الاعتراف بالأسماء الرسمية إلا عند المعاملة وفي الجوازات ، فلا تكاد تسمع فيما بينهم إلا
الأسماء الإسلامية، بل إن كثيراً منهم لا يحفظ اسمه الرسمي فقد قابلت عدداً من الطلاب إذا سألته
عن اسمه في الجواز لا يعرفه بل يخرج الجواز ويقرأه عليك! وهذا بحد ذاته تحد صارخ للشيوعية
التي تفرض عليهم هذه الأسماء، ثم بعد ذلك لا يحفظونها ولا يتخاطبون بها.
- ٢- تربية الأولاد على بغض الروس وكراهيتهم ، والنفرة من عاداتهم وتقاليدهم ، وهذا أمر عجيب
وطيب ، فالطفل مثلاً إذا سألته عن جاره الروسي تجده يبغضه وينفر منه.

وقد سألت أحد الثقات هناك فقلت له : عادة التدخين بين المسلمين قليلة فلم؟ هل هذا راجع إلى قلة الدخان أم غلائه أم ماذا؟ فقال : لا، إن الناس عندنا - يعني المسلمين - يقولون : التدخين من عادة الروس ولذا فكثير منهم يتركها! ثم سألته : النساء عندكم متبرجات ومع ذلك فلم أر امرأة تقود السيارة فلماذا؟ فقال : إن قيادة السيارات من عادة الروسيات والمسلمون يكرهونها.

٣- إرضاع الأطفال بغض الشيوعية، وعداوتها وكذبها، فلقد قابلت عدداً كبيراً من الطلاب - وبعد أن درسوا في مدارس الشيوعية - فإذا سألته هل أحد من أقاربك شيوعي؟ أشاح بوجهه وكره ذلك السؤال ، واستغربه ، وقال : أعوذ بالله ، سبحان الله.

٤- تعليم الأولاد أحكام دينهم والاعتزاز به ، وهذا على حسب علم أهل البيت وما تبقى عندهم من أحكام الإسلام ، وأقلهم يعلم الشهادتين. ولقد قابلت عدداً من الأطفال في كثير من المدن والأحياء ووجدت التباين فيما بينهم في معرفة الإسلام، فبعضهم لا يعرف إلا الشهادتين ، وبعضهم لا يعرف إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعضهم يحفظ شيئاً من القرآن ، وبعضهم يحفظ أسماء الله الحسنى.

ومررت بمدارس قديمة في مدينة خيوة من خوارزم ، وأطفال ما بين سن الثالثة والخامسة، يصعدون على شرفات هذه المدرسة، فقلت لهم - بعد أن وضعت أصبعي في أذني - الله أكبر، فما شعرت إلا وقد وضعوا أيديهم على آذانهم وبدأوا يصرخون : الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ففرحت - يعلم الله - فرحاً عظيماً.

٥- التعليم السري، وهذا النشاط يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون في قلوبهم الحرقه على دين الله - عز وجل - على الرغم من قطيعة إخوانهم لهم ، ومن تجاهلهم لهم، وعلى الرغم من هذه الغربة الشديدة، ومن هذا الضغط العجيب الذي لم يسمع به، ومن فقدان المصاحف وكتب العلم ، ومن الفقر وقلة ذات اليد، على الرغم من ذلك كله فقد قام عدد من المنتسبين إلى العلم بتعليم القرآن ، وأحكام الإسلام ، سرّاً تحت السرايب في حجرات في بيوتهم، وهذا التعليم يتقرب صاحبه به إلى الله تعالى لا يريد من أحد جزاء ولا شكوراً، فالطالب يسكن في البيت ويأكل ويشرب وينام ويلبس كل ذلك على حساب صاحب الحجرة. وقد قام نظام الحجرات على تكليف الأخيار سواء كانوا طلاب علم ، أو محبين للخير بأن يضم إليه طالبين أو ثلاثة ولا يزيد عن خمسة، فإن كان طالب علم فيقوم بتعليمهم كتاب الله ، وأحكام الصلاة والصيام والأحكام الضرورية، ثم يعلمه سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين ، ثم يعلمه اللغة العربية والصرف والنحو.

ويشترط أن يكون الطالب من الغرباء، فلا يكون من نفس المدينة أو القرية، فمثلاً إذا كان المدرس في جمهورية أوزبكستان فالطالب يأتيه من طاجكستان أو من غيرها، بل إنني وجدت في بعض الحجرات طلاباً يبعدون عن أهلهم بمسافة تقدر بالآلاف الكيلو مترات ، وغالباً ما يكون هؤلاء الشباب ممن تخرجوا من المدارس الثانوية الحكومية الإلزامية، وذلك أن الدراسة الجامعية عندهم ليست إلزامية، بل تأخذ الجامعات رسوماً على الطالب، وهؤلاء الشباب الغرباء يجلسون عند الشيخ في الغرفة مدة ثلاث سنوات ، لا يزور أهله إلا في الصيف، ولا يخرج من هذه الغرفة الصغيرة إلا مرة واحدة في الاسبوع للاستحمام - لأن بيوتهم لا يوجد فيها حمامات - ولقد دخلت بعض هذه الحجرات فرأيت من صبرهم وجلدهم على التعلم أمراً عجبياً، يفتقده كثير من طلاب العلم في العالم الإسلامي ، تجد شاباً في سن السادسة عشرة أو أكثر جالساً في غرفة مظلمة، والكتاب بين يديه ، وليس للتعليم عندهم وقت محدود فمتى ما زرتهم تجدهم عاكفين على التعلم ، وقت الصباح والظهر والعصر والعشاء وآخر الليل!!

أما إن كان صاحب البيت ليس عنده علم فإن الطلاب يسكنون عنده ويعطون الكتب للدراسة، ثم يأتي الأستاذ إليهم مرة واحدة في اليوم أو اليومين أو أكثر حسب بعد المنطقة، وهكذا يمر في سائر الحجرات ، فيلتقي معهم في ساعة متأخرة من الليل خوفاً من أن يطلع أحد عليه فيدارسهم القرآن والسنة، وباقي الدروس.

هذا دأبهم في التعليم منذ سنين طويلة، ولا يعلم بهم أحد حتى جارهم في البيت ، وقد قابلت عدداً كبيراً من هؤلاء الطلاب فوجدت بعضهم يحفظ كامل القرآن حفظاً جيداً، ولما سألت بعضهم كيف حفظت القرآن؟ قال : في الحجرة، في جمهورية كذا. قلت له : أليس في هذه الجمهورية التي تسكن فيها حجرات، قال: بلى، ولكن العلم لا بد له من الغربية، فقلت : على يد من تعلمت؟ قال : على يد الشيخ عبد الله ، قلت : من عبد الله؟ قال : لا أعرفه هذا عندنا عيب ، نعم مدة ثلاث سنوات لا يعرف شيخه وذلك حتى لا تكتشفهم المخبرات. وهذه الطريقة في التعليم شاملة للجنسين الذكور والإناث، فالمرأة في بيتها وحجرتها بنات تدرسنهن ، والأب في حجرته شباب يدرسونهم.

وبعد الانفتاح خرج من هذه الحجرات آلاف الطلاب وكلهم يحمل مؤهلاً لا بأس به من المعرفة، على الأقل مما يعلم من الدين بالضرورة، وعلى حفظ قسط طيب من كتاب الله -عز وجل-.
٦- تربية الأولاد على حب العربية لغة القرآن ، فالأب والأم يربون الأطفال على حب اللغة العربية وتقديرها، وبعضهم لا يعرفها ولم يسبق له أن رأى الحروف العربية. وقد حدثني رجل ثقة فقال: كنت ابن عشر سنين فوجدت ورقة مكتوب فيها بالحروف العربية وقد طرحت على الأرض فأخذتها، ثم بكيت، وذهبت بها أجري إلى أمي وأقول : هذه أحرف القرآن لا يحترمونها بل يلقونها على الأرض ، فأخذتها أمي وطيبتها - وكان لنا صندوق فيه مصحف - فوضعتها في المصحف ، فلما عرفت العربية وكبرت فتحت المصحف وأخذت الورقة فإذا هي أبناء موسكو بالعربية!!

إن هذا الصمود ليس شاملاً لجميع المسلمين بل لنسبة كبيرة منهم ، فلقد قابلت عدداً كبيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام إلا مجرد الانتساب إليه بالاسم أو النسب.

- يتبع -

الإبعاد :

((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ))

د. عبد الله عمر سلطان

اليهود كانت ولا تزال أمة تنتشي بقتل الأطهار وتحترف بملاحقة الصالحين.. ، أمة قتلت أنبياءها، وطاردت صالحيتها، وأدارت ظهرها مرة بعد مرة لقوافل الرسل الكرام والأنبياء الأطهار، الذين أرسلوا لها ليتها عن غيها ويرشدوها إلى أفق الاستقامة ودرج النور.. هذا أمسها.. وهذا يومها شاهد على أنها الأمة المغضوب عليها..

الصالحون الداعون إلى ربهم كان طريقهم حطياً في الطريق ، وسلى يلقى على الأعقاب وطردها من الديار هرباً بالدين والمبدأ.. هذا لوط -عليه السلام- يخرج قومه : ((أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ)) والمتطهرون من أتباع نبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام- خرجوا مهاجرين إلى الحبشة مرتين وإلى يثرب حيث كانت من الحمى تستوطن ويهود تتأمر في هجرة الظفر والنصر.. هذا كان قدرهم وقدر هؤلاء الفتية الذين أتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم-

مجندين يوم الحديبية. روى البخاري "وبينما هم كذلك - في مناقشة بعد الصلح - إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي بموجب الاتفاق ، فقال صلى الله عليه وسلم- : إنا لم نقض الكتاب بعد، فقال : إذا لم أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي فأجزه لي. قال ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : مكرز بل قد أجزناه لك ، قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جنئت مسلماً ألا ترون ما لقيت ، وقد عذب عذاباً شديداً في الله ".... ثم انطلق هؤلاء الأبطال هاجرين ديارهم في مكة مترصدين لغير وتجارة قريش في تلك البقعة النائية على ساحل البحر الأحمر، حتى كان هذا الإبعاد إرهاباً لفتح ميين..

وفي كل رحلة غربة وقافلة إبعاد ترفع التكبير كان النصر يأتي مع الصبر ويعقب العسر اليسر.. وفق سنن العزيز الرحيم.

اليوم يستطيل يهود ومن خلفهم العالم النصراني الغربي المتواطىء ويقومون بنفس الجريمة التي تحرمها قوانينهم ومواثيقهم التي لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به.. لكنهم في خضم الخوف من اشتعال الإيمان في الصدور، والجهاد في الأعضاء، ينسون أن المعركة منذ هذه اللحظة دارت واستدارت وتوجهت نحو أفق بديل..

ولم تعد معركة إسرائيل مع منظمات تطرح العلمانية حلاً أو الشيوعية خلاصاً أو التطبيع رهاناً، أو أي مذهب آخر ساقط كمخرج لقضية المسلمين الأولى.. كلا وفي ظروف دولية وإقليمية متجددة يماط اللثام مرة أخرى عن الإسلام ، فإذا هو مائل في صورة طفل ينازل يهود وهو يزلزلهم بآيات البقرة، أو شيخ وهو يحمل قنبلة مولتوف يقذفها في وجههم وهو يتمتم بأرجوزة ابن رواحة:

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

أو امرأة صبرت واحتسبت وقامت بتربية تسعة رجال كل واحد منهم تعده ذخراً لقضية الإسلام شوكة في حلق اللئام..

لقد استجمعت الأمة قواها في ظل التوحيد، واختارت أن تعيد سيرة رجالات الإسلام الأفاض الذين ضحوا ويضحون في سبيل القدس ، لا لكونها حجراً أو شجراً أو قطعة أرض ، فهذا ما راهن عليه المارقون وحاولوا أن يجمعوا الفلسطينيين عليه لعقود، لكن أبناء الإسلام تلوح لهم المساجد والمآذن وشجر الزيتون والإذخر، فيحيوها في أذهانهم رموزاً لمواطن المعركة ومسارح لساح الجهاد الذي ينتظرهم..

إيجابيات..

ككل فعل بشري ، وقدر ماض ، كان حدث الإبعاد مزيجاً من الإيجابيات والسلبيات التي نرجو أن تتحول إلى كم من الإيجابيات هائل ، وقدر ضئيل من السلبيات لا نملك إلا المدافعة والمحاولة لتغيير مسارها.

* إن أبرز إيجابيات الإبعاد تحويل مسار الصراع من بعده العلماني كصراع حول الأرض والشجر، إلى منازلة عقيدة ودفع بين الحق المجاهد والباطل المستكبر.. ، لقد ظلت صيحات الدعاة خافتة لزم من طال، أما اليوم فإن الأعداء يدركون أن الصراع قد اختط زاوية أخرى تحمل في طياتها كما قال رابين خطراً داهماً على الكيان الصهيوني.

* ومن إيجابيات الإبعاد هذا الدرس العملي الذي تسابقت وسائل الإعلام الغربية على نقله وتصويره ، صورة معبرة للمبشرين وهم صابرون مصابرون بروح عالية وإصرار على المكوث في هذا الجرد الموحش لا يؤنس وحدتهم إلا صلاة أو ذكر أو دعاء..!

* تقديم صورة جديدة لقيادات لا تعرف الترف ولا المتاجرة بقضية شعبها، إن شعوبنا ملت تجرع الهزائم وكرهت ملامح هؤلاء الذين تحولوا من صعاليك إلى أباطرة عبر تقديم التنازلات تلو التنازلات.. أما هؤلاء فيشرعون في رسم مشروع بطولة ومصابرة تحتاجها الأمة وهي ترى العارض المستقبل أوديتها وفيه ريح تطبيع مدمر!

* في الوقت الذي تتعالى فيه أصوات سماسرة التطبيع مع اليهود والمنادين بالصلح مع إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت، يعري المجاهدون المبعدون هؤلاء العتاة، ويحذرون الأمة بلسان المقال من خطورة الإقدام على هذا الصلح مع قوم لا يعرفون عهداً، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

* أما أمم "بطرس" المتحدة فأبت إلا أن تثبت لنا وللمشككين في نواياها (وهم كثر) أنها حرب على كل طاهر وصالح من خلايا الأمة الإسلامية المستهدفة، ويأبى الله إلا أن يفصح بطرس وأسياده فهو كان على بعد ساعة من مقر قيادة حكومة الصهاينة كان في القاهرة ومقاديشو وأديس بابا، ولم يكلف نفسه عناء السفر أو التصريح بشيء من عباراته البطولية التي يطلقها في وجه المحاربين للنفوذ الأمريكي والغربي.. وإذا كان نصفك يهودي يا بطرس ، هل تأتي هذه الحادثة إلا لتكشف لنا عن خبث نصفك الآخر؟

* وإذا تطرقنا إلى الساحة العربية فإننا لا نجد إلا عجزاً وهواناً.. الأسلوب المشروخ هو ذات الأسلوب.. شجب ، استنكار، إدانة ثم إذا جد الجد.. إصرار على خوض المفاوضات التي وصلت إلى طريق مسدود، فطريق العجز يردي ، والضعفاء كالمعاقين لا يقدرّون على الركض في دروب الجهاد..

وسلبيات ..

* تدرك الدولة الصهيونية أهمية القيادة ودور الرموز، لذا فإنها سارعت إلى إبعاد قيادات العمل الإسلامي في أول مناسبة بُعيد قتل المجدد اليهودي ، ولأنها لا تحتمل وجود عمل إسلامي منظم وقوي فإنها سارعت إلى هذه الخطوة التي قد تؤثر سلباً على انتشار الحل الإسلامي بين أوساط الشعب الفلسطيني ، وهذا يقتضي إنشاء قيادات بديلة تستعين بالكتمان وطول النفس في مواجهتها مع الأعداء و"بعض" الأصدقاء!

* سارعت المنظمة إلى المزايدة على أحداث الإبعاد وتصويره أنه من بطولاتها "فبطولاتها خارقة للغاية"، وفي الوقت الذي طالب رئيسها الهرم عبر صحافة اليهود بقتل "الجنة" الذين قتلوا الجندي اليهودي ، كان يجري مباحثات مع قادة حركة حماس من أجل التنسيق ونصب فخاخ المشاركة في هيكل منظمته العلمانية.. ، إن الدخول مع هذه المنظمة المفلسة واقعاً ومعتقداً منعطف خطير ينبغي على الحركة الإسلامية أن تعيد النظر فيه ، وهذه السلبيات أصبحت حدثاً متوقفاً على الدوام في إطار عجز الخطاب العربي وخوائه. فكما تنبأ العديد من الإسلاميين سارعت طهران إلى ركوب الموجة الفلسطينية الجهادية واستغلالها في نفس الوقت الذي كشفت فيه الأنباء خلال نفس الفترة عن صفقة سلاح إسرائيلية-إيرانية عن طريق كوريا الجنوبية، وهذا دليل آخر على النفاق الرافضي الذي يرضي البسطاء بتقديم الجعجة الإعلامية، بينما يأكل اليهود الطحين الإيراني كما فعلوا من قبل ، إن السلوك الإيراني بحاجة إلى دراسات خصوصاً على الساحة الفلسطينية التي ينبغي على المخلصين فيها أن يسترجعوا دروس القضية الأفغانية وموقف إيران الإجرامي حيالها، أو ما كشفت عنه الأنباء المتواترة عن تقديم كلاشنكوفات وأسلحة (رمزية) لمسلمي البوسنة في العلن ، بينما يزود نظام الملالي الصرب بالنفط القادر على سحق أبناء السنة من البوسنيين.

كلما مر يوم على المبعدين الصابرين في الجرد الموحش كشف لنا عن درس إيجابي أو نقطة ضعف قاتلة، ولكن مجمل المسار لقضية الإبعاد هو مسار إيجابي عسى أن يتحقق فيه قول الحق -عز وجل- : ((فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا))، ولعلمهم أن يكونوا أحفاداً لأبي جندل وصحبه.

طاجكستان مأساة جديدة

د. مالك الأحمد

توطئة:

تقع طاجكستان في أقصى الجنوب الشرقي للاتحاد السوفييتي (سابقاً) وتتشرك بحدود مع الكثير من الدول وأهمها أوزبكستان من الشمال وأفغانستان من الجنوب ، إضافة إلى الصين وقرقيزيا وكازخستان.

وهي بلد جبلي في معظمه يسكنه أكثر من خمسة ملايين نسمة أكثرهم من الطاجيك ، ثم الأوزبك ، بالإضافة إلى أقليات عرقية أخرى.

واللغة القومية هي الطاجيكية وهي فارسية الأصل ، لكن اللغة السائدة هي الروسية. والبلد غني بموارده الطبيعية والغلال والثروات المعدنية والتي من أهمها اليورانيوم.

والسكان غالبيتهم من السنة ويوجد أقلية من الإسماعيلية. والبلد صغير المساحة بلا جيش - كحال الجمهوريات الأخرى - لكن الجيش الروسي هو الذي يحمي الحدود ويسيطر على المراكز الرئيسية سواء في العاصمة (دوشنبه) أو المدن الأخرى، وقيادته بيد يلتسن شخصياً.

والبلد يتميز بخصائص هامة جعلته محط الأنظار ولعل أهمها:

- قوة الشعور الإسلامي (القومي) لدى الناس ، وتمسك الناس بالتقاليد المحلية وثوراتهم المبكرة ضد الروس في أوائل القرن الحالي ، وكذلك الثقافة العالية لدى الكثيرين خصوصاً في الشمال ، والوحدة الإسلامية رغم اختلاف الأعراق.
- وجود حدود طويلة مع أفغانستان ، مما قد يسبب خطورة عند قيام دولة إسلامية قوية فيها.
- وجود نشاط إسلامي قوي وموحد تحت قيادة حزب النهضة الإسلامي.

الأزمة وتطور الأحداث :

استقلت الجمهورية عن الاتحاد السوفييتي سابقاً في سبتمبر ١٩٩١ بعد ما يقارب الـ ١٣٠ عاماً من الاستعمار الروسي ، وتنفست الصعداء، وخرج طلاب العلم من الأقبية المظلمة التي اضطروا إليها سنين طويلة كي يحافظوا على دينهم وعلى لغتهم العربية، ونشطوا في الدعوة والتعليم وأقبلت عليهم الأمة بقلوب عطشى بعد عقود من التجهيل.

لكن الحكم استمر بيد الشيوعيين مستخدمين نفس سياساتهم السابقة مع تحوير طفيف دون أن يغيروا عباةتهم كما فعل أشياعهم في الجمهوريات الأخرى واستمروا في سيطرتهم على كافة المنظمات الشبابية والنقابات والإعلام والمراكز الهامة في الدولة.

ومجارة لتطور الأحداث ، قاموا بعمل انتخابات (مزورة) في أواخر ١٩٩١ وفاز فيها رأس الشيوعية في البلاد نبييف والمدعوم من حزبه الشيوعي ، ونتيجة لذلك تحركت أحزاب المعارضة الوليدة ممثلة بحزب النهضة الإسلامي وهو الغالب ، ومعه الحزب الديمقراطي والحركة الشعبية (حزب قومي) مطالبة الرئيس بالتنحي عن الحكم ، وقادت هذه الأحزاب مظاهرات

حاشدة فاضطر الرئيس نتيجة الضغوط لتقديم بعض التنازلات، وشكلت حكومة ائتلافية شاركت فيها المعارضة مع الحكومة، مع وعد بإقامة انتخابات برلمانية (البرلمان ما زال تحت سيطرة الشيوعيين)، لكن الرئيس نكث بوعوده ، فتحركت الجماهير بالآلاف بتوجيه من المعارضة وحاصرت القصر الرئاسي ما يقارب الشهرين حتى اضطر الرئيس للتنازل والهرب بعد ذلك ..

تكونت حكومة جديدة مؤقتة من المعارضة وبعض الشيوعيين (المعتدلين) وحصل دولت عثمان (من حزب النهضة) على منصب نائب الرئيس مع أنه لم تكن للحكومة قوة فعلية ولا سيطرة على الشارع، فالقوة الحقيقية كانت للمليشيات الشيوعية المسلحة والمنظمة والتي انسحبت بعد فرار نبييف وتجمعت في منطقة كولا ب ، وانضم إليها الكثير من عتاة الإجرام الذين أخرجوا من السجون وبدأوا بالتحرك للسيطرة على المناطق القريبة منهم ، وهاجموا كرغينة معقل الإسلاميين الذين لم يكونوا على استعداد للمواجهة، ورغم ذلك استطاعوا إيقاف الشيوعيين مرات عديدة بأسلحتهم الخفيفة. تطورت الأحداث بعد ذلك سريعاً حيث اجتمع البرلمان (الشيوعي) وخلع الرئيس وأسقط الحكومة، ثم تكونت حكومة جديدة ليس للإسلاميين فيها وجود، وضمت المليشيات الشيوعية للحكومة وأصبح الإسلاميون (حزب النهضة) عناصر خارج النظام ، حيث بدأت مطاردتهم في كافة البلاد، وحدثت مجازر رهيبه بحقهم، لدرجة أن بعض الصحف الغربية كتبت تقارير حول ذلك، فطلبت الحكومة مراقبين من الأمم المتحدة لمتابعة الأوضاع في البلاد حتى تنفي عن نفسها مسؤولية المجازر التي وقعت للمعارضة وبخاصة الإسلاميين.

دور المفتي :

المفتي ورئيس الإدارة الدينية أكبر تورجان زاده لعب دوراً خطيراً في الأحداث، فهو ابتداء من الوضع الشيوعي السابق ، معروف بتقلبه ومواقفه المتعارضة، فتارة مع الشيوعيين وتارة مع المعارضة وأحياناً يلعب دور الوسيط ، وفي مرحلة لاحقة ساعد على تصعيد المواجهة بين الطرفين "وهو يخبر الأجانب أنه يريد دولة هيكلها علماني وروحها إسلامية، وتلتزم بمعايير حقوق الإنسان الدولية !! لكنه لا يتحدث بشأن هذه الآراء بصراحة مع الحركة الإسلامية " (١).

مواقف الدول الخارجية :

- أوزبكستان : وتعتبر من أخطر الدول ودورها خبيث للغاية، فهي دولة علمانية صرفة بأسلوب دول العالم الثالث ، وتعلن ذلك بصراحة وتحارب الإسلام في عقر داره ، وكانت مواقفها خلال الأزمة مؤثرة وخطيرة، حيث قامت بدور إعلامي رئيسي في الأزمة تمثل في تشويه صورة الإسلاميين من حزب النهضة، ووصفتهم بالتطرف والإرهاب والوهابية (التي يبغضها الناس ولا يعلمون ما هي) وتعتم على أخبار المجازر، وتهون من خطورة الأحداث، وأخبارها دائماً في مصلحة الشيوعيين ، وعند تأزم الأحداث أفلتت الحدود مع طاجكستان لحصار الناس ومنعهم من الهرب وبالتالي نقل حقيقة ما يجري للناس هناك، وقطعت الاتصالات والطرق ، والقطارات والطيران ، ودعمت عسكرياً الشيوعيين وطاردت من فر من الإسلاميين لأوزبكستان، بالإضافة لحصارها للإسلاميين الأوزبكيين، وختمت ذلك بالقبض على رئيس حزب النهضة في أوزبكستان عبد الله أوتته وما زال مصيره مجهولاً.

- روسيا: كان للروس دور هام وخبيث وإن كان بشكل غير مباشر حيث أن موسكو تعتبر مصدراً رئيسياً للأخبار والمعلومات. قامت روسيا بتشويه صورة الإسلاميين ووصفتهم - كأوزبكستان - بالوهابية والأصولية وأنهم يقاتلون المسلمين ، وهيأت الناس للتدخل في حال تعرض الجالية الروسية في طاجكستان للخطر.

أما في الجانب العسكري فقد قامت قواتها بحجز الإسلاميين عن الشيوعيين في بداية الأحداث عندما كانوا يطاردونهم ، وأوقفت الإسلاميين في كثير من المواقع ، ثم قامت في مرحلة لاحقة بالدعم العسكري المباشر للشيوعيين ، وزودتهم بأحدث الأسلحة، وشارك بعض الجنود في القتال ، وقامت القوات الروسية بإغلاق الحدود مع أفغانستان لمنع تنقل الإسلاميين أيام الأحداث وفرارهم آخر الأمر.

- الدور الغربي : تعتبر أمريكا ذات دور هام في دول آسيا الوسطى حيث لها سفارة تتابع أحداث المنطقة عن كثب ، وقامت أثناء الأحداث بمد أنصار نبييف الشيوعيين بالأسلحة حيث هبطت طائرات نقل أمريكية في كولات مباشرة تحت غطاء المساعدات الإنسانية.

- أما الدول العربية والإسلامية فكان دورها سلبياً كالعادة، عدا إيران الرافضة والتي تحمي مصالحها فقط..

نتائج الأحداث :

* حدثت مجازر رهيبة بحق المسلمين والإسلاميين من حزب النهضة على وجه الخصوص - وتقدر بين ١٢,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ بالإضافة لآلاف قتلوا أثناء هربهم من الأحداث ، بما فيهم من شيوخ ونساء وأطفال بأيدي الشيوعيين ومسانديهم من الروس ، وغرق المئات في نهر جيحون أثناء الفرار، والهجرة القسرية لأعداد كبيرة من العائلات التي تضررت بالأحداث خصوصاً في جنوب البلاد إلى أفغانستان (يقدرون بمائتي ألف نسمة) وهم يعيشون في وضع سيء للغاية من برد شديد، انعدام للمؤن والألبسة والخيام.

* توقف جميع الأنشطة الإسلامية وحلقات العلم ، وفرار الكثير من طلبة العلم إلى البلاد المجاورة والتخفي.

* الملاحقة أو القتل والتعذيب اليومي لأي شخص اشترك في المظاهرات أو ينتمي لحزب النهضة.

* تدمير وحرق ونهب مناطق الإسلاميين.

* توقف أنشطة البلاد الاقتصادية والأعمال والمدارس ودمار في كثير من مرافق البلد.

تقويم للأحداث :

- المرتدون من العلمانيين والشيوعيين يمثلون أكبر خطر على الأمة وعداوتهم لهذا الدين وأهله متأصلة في نفوسهم وهم لا يراعون عن ارتكاب الجرائم والقتل والاعتصاب للحفاظ على مصالحهم ، ويتحالفون مع أعداء الأمة الخارجيين كالنصارى واليهود وغيرهم لوأد المسلمين في ديارهم.

- الغرب والشرق على السواء لا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام قيام دولة إسلامية، وسيبذلون وسعهم للحيلولة دون ذلك إن ظهرت بوادره (مثال البوسنة والهرسك).

- سلامة المنهج ووضوح الرؤية ركن أساسي في العمل السياسي للمسلمين أما دخول الإسلاميين في تحالفات مع أعداء الله الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة أو مشاركة في حكومات مختلطة فإنه خلل في المنهج وعواقبه

- إن دخول الإسلاميين في اللعبة السياسية قبل أن يشد عودهم خطر كبير على الدعوة وآثاره لن تزول بسهولة، وكذلك اعتمادهم على جماهير غير واعية ولم تنرب تربية سليمة، وإن الأمة تحتاج لجهود ضخمة من الإعداد والتربية الإيمانية والجهادية قبل خوض المعركة مع أعدائها.

- وإيران خطر مستفحل وأثرها في طاجكستان ملموس نظراً لوجود اللغة المشتركة وقد استفادت كثيراً من تقاعس أهل السنة، وإخواننا في حزب النهضة اكتشفوا - أخيراً - حقيقتهم بعد أن وثقوا بهم في السنين الماضية، ولا أدل من موقفهم السلبي تجاه الأحداث وكأنها لا تعنيهم.

وأخيراً نقول إن المأساة الدامية التي عاشتها الأمة في طاجكستان قدر من الله وابتلاء وامتحان ، ونسأل الله سبحانه وتعالى- ألا تكون عقوبة لهم. إن الأزمات دروس للأمة لترتيب الصفوف ومتابعة الخلل وتصحيح الأخطاء والانتباه للمستقبل، وفي ظني أن الدعوة - في عموم الجمهوريات الإسلامية - سوف تكون تحت مجهر الأعداء ولن يدعوا الأمور تصل إلى ما وصلت إليه في طاجكستان، فالأمر سباق بين دعاة الإسلام ودعاة العلمنة، فأيهم يسبق؟

الهوامش:

١- كما ذكرت مجلة فورين بوليسي عدد ١٩٩٢/٨٧، ومن الجدير بالذكر أنه مطارِد حالياً من قبل الحكومة الشيوعية، قال تعالى: ((وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ)).

هل يعود الشيوعيون إلى السلطة في كابل

أحمد الإدلبي

يتخوف بعض المراقبين الأفغان أن يؤدي الوضع المتدهور وغير المستقر في العاصمة كابل بشكل خاص وأفغانستان بشكل عام إلى عودة الشيوعيين إلى السلطة كما حصل في دوشنبه عاصمة طاجكستان مؤخراً وذلك بعد أن حكمت المعارضة لمدة ستة أشهر.

المعلومات المتوفرة تشير إلى أن حزب الوطن الشيوعي والذي يضم جناحي الحزب الشيوعي خلق وبرشم، عقد اجتماعاً لقيادته المركزية قبل سقوط نجيب الله في أبريل الماضي، وقرروا التوزع في أحزاب المجاهدين وبقية الميليشيات الأوزبكية بزعامة الجنرال عبد الرشيد دوستم التي تحالفت إلى جانب الميليشيات الإسماعيلية وحزب الوحدة الشيعي مع أحمد شاه مسعود، ويلعب الرئيس بابر كاركامل دور الأساسي في هذا التحالف، وكان الهدف المشترك لكل عناصر التحالف إبعاد الحزب الإسلامي عن السلطة، لكن مع مرور الوقت وإدراك الجميع قوة الحزب الإسلامي، خاصة في معارك أغسطس الماضي عندما فشلت كل عناصر التحالف في إبعاد الحزب عن كابل، بل استطاع التقدم عدة كيلومترات نحو العاصمة. ومع رفض رباني التنحي عن السلطة مع انتهاء فترة ولايته للسلطة وإصراره على عقد مجلس أهل الحل والعقد الذي أثار الشكوك بين الأفغان لرفض خمسة أحزاب رئيسية لعقد هذا المجلس، وقد وقف الشيخ سياف بشكل واضح إلى جانب رباني وهو موقف يثير تساؤلات عدة.

حاول حكمتيار كسر التحالف الأخير فقام بتشجيع أي قتال بين عناصر التحالف حتى وقع الاقتتال بين مسعود وحزب الوحدة في ديسمبر الماضي نجم عنه تدمير العديد من مناطق الشيعة حيث وجد علاء الدين برجوردي نائب وزير الخارجية الإيراني من الصعب أن يعيد اللحمة بين الطرفين مرة ثانية رغم زيارتين قام بهما إلى كابل عقب وصول رباني إلى السلطة، وقد التزم حكمتيار الصمت حالياً حيال الميليشيات حيث اكتفى بالمطالبة في حل كل قطاعات بقايا النظام الشيوعي السابق، ولم يتحدث عن الميليشيات أبداً، حتى أنه في تهديده الأخير هدد الحكومة بأنه ما لم تقم بالإفراج عن أسرى الحزب الإسلامي الذين بحوزة الحكومة منذ أبريل الماضي فسيعمد الحزب إلى إسقاط أي طائرة تحلق في سماء كابل أو تقلع من مطار بغرام أو كابل الدولي، ولم يهدد بقصف الطائرات الجاثمة على أرض المطار حتى لا يُعد هذا هجوماً على مواقع الميليشيات.

وحسب قول المهندس حكمتيار فقد وضع ثلاثة شروط للمليشيات حتى يتعاون معها: التخلي عن مواقع (بالاحصار، وتبته مهراجان، والمطار الدولي) وهي مواقع استراتيجية من يتحكم بها يستطيع السيطرة على كابل..

ويبدو أن استمرار الوضع بهذا الشكل دون رجحان لهذه الكفة أو تلك سيصعد المواجهة بين حكمتيار والأحزاب الأخرى خاصة بعد القتال الأخير بين قوات حكمتيار وسياف حول كابل حيث إن قوة الأحزاب الشيوعية لم تمس ورغم هروب قادتها فإنها لم تستقر في كراتشي أو إسلام آباد وإنما فضلت البقاء في بيشاور رغم تعرضها للخطر مما يشير إلى عزمهم على تنظيم أنفسهم مرة ثانية .

أخبار الجهاد والدعوة في الفلبين

لجنة الإعلام الخارجي في جبهة تحرير مورو الإسلامية

تصاعدت المعارك بين مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرهم الأخ الأستاذ سلامات هاشم وبين جنود القوات المسلحة الفلبينية منذ أواخر الأسبوع الأول لهذا الشهر (جمادى الأولى ١٤١٣ هـ). وقد حشد العدو عدداً كبيراً من جنوده المدعمن بالمدفعية الثقيلة في الجبهات القتالية المتاخمة لحدود محافظات لانا الجنوبية وماجناناو وكوتياتو الشمالية يوم الثلاثاء ٩ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ. وشعر المجاهدون أن جنود العدو كانوا يستعدون للهجوم، فتسلل بعض فصائلهم وراء العدو وهجموا عليهم من الورا بالقتال اليدوية والقاذفات والبنادق الاوتوماتيكية السريعة بعد صلاة الفجر مباشرة من يوم الأربعاء ١٠ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ. وقتل ثلاثة وأربعون منهم - أي العدو - في الحال وأصيب عدد منهم، وواصل المجاهدون هجومهم لعدة ساعات وتمكنوا من تشتيت صف العدو وإضعاف معنوياتهم مما أدى إلى تقهقرهم ولم يتمكنوا من تنفيذ خطتهم للهجوم على المجاهدين واستمر بعد ذلك تبادل القصف بالمدفعية إلى اليوم التالي (الخميس ١١ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ) وأما المجاهدون فقد استشهد أحدهم وأصيب بعضهم. وقد دارت المعارك الشديدة بين الجانبين خلال الاجتماع الدوري العام الحادي عشر المنعقد في الفترة بين (٨-١١ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ) لجبهة تحرير مورو الإسلامية بقاعدة أبي بكر الصديق حيث مقر القيادة العامة للجهاد الإسلامي في جنوب الفلبين.

والمعارك في الجبهات القتالية المذكورة أمر عادي والاشتباكات وتبادل إطلاق النار مستمر، وتشتد المعارك حيناً وتتضاءل حيناً آخر، والمجاهدون ثابتون في خنادقهم يتناوبون منذ أوائل العام الهجري الماضي (١٤١٢).

لمحة عن الاجتماع الدوري العام :

هو اجتماع سنوي يحضره كل من اللجنة المركزية لتحرير مورو الإسلامية ومجلس الشورى ومجلس الجهاد التنفيذي ومندوبون عن اللجان والقيادات الإقليمية في المحافظات المختلفة في مناطق مورو للتشاور والمشاركة في وضع سياسة عامة وخطة للجبهة وبرنامج للعمل تطبيقاً لقوله تعالى : ((وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)).

ومن أهم القرارات التي اتخذت :

- تأكيد القرارات السابقة بأن هدف جبهة تحرير مورو الإسلامية هو إقامة دولة الإسلام في أرض مورو وتحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
 - وإن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وبجميع ما تملكه من الأمور المعنوية والعقلية والمادية هو طريقنا للوصول إلى الهدف .
 - وأن ما يسمى بالحلول السلمية أو السياسية من الحيل التي يلجأ إليها الأعداء لخداع المسلمين ، لذلك لا وسيلة للوصول إلى الهدف إلا الجهاد في سبيل الله بمعنى القتال ، ولا وسيلة إلا القوة لردع الباطل .

الملف الإعلامي

أخبار

* أكدت مصادر دبلوماسية في أسمرأ أن الرئيس الايرتري ، المؤقت أسياس أفورقي توجه إلى تل أبيب للعلاج من الملاريا الدماغية وأوضحت أن الجهات الايرترية المسؤولة تمتنع عن ذكر أسباب "اختفائه" منذ الثلاثاء واعتذاره عن عدم لقاء الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي الذي زار البلاد.

الحياة ٨ / ١ / ١٩٩٣

* مصادر أفريقية مطلعة تؤكد أن جماعة القس مون اليمينية المتطرفة - وهي على علاقة وثيقة بفئات يمينية متطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية والقارة الأمريكية بمجملها - بدأت تحركاً واسعاً للتغلغل في القارة الأفريقية، خصوصاً في الجزائر وتونس والمغرب ، بالإضافة إلى شاطئ العاج وتوغو وزائير وأفريقيا الجنوبية. ينطلق القس مون الذي يمول مجموعة أحزاب وصحف في أوروبا وأميركا، من شركات تجارية ضخمة أسس الأولى منها في كوريا الجنوبية عام ١٩٥٩ ، وهو يدير حالياً "أعماله" من مكاتبه الجديدة في جنيف حيث انتقل مؤخراً مستعيضاً عن مقره الدائم في زيوريخ.

الأسبوع العربي ١١/١/١٩٩٣

* آخر تقارير أمنية في أكثر من عاصمة أوربية غربية يؤكد أن التعاون العسكري بين القيادة الصربية وإسرائيل في تنام ملحوظ وأن الطرف الآخر المستعد لدخول هذه الحلبة "الودية" هو روسيا.

الأسبوع العربي ١١/١/١٩٩٣

متابعات

الصحف الغربية ومسألة البوسنة

جاء في افتتاحية الديلي ميل (١) البريطانية بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٦ ما يلي :
 في الوقت الذي أصبح فيه وضع المسلمين الباقين في البوسنة يثير الشفقة والرحمة بشكل أكثر، ازاد الضغط من أجل تدخل عسكري غربي في النزاع. فالرئيس جورج بوش وفرانسوا ميتران يريدان تنفيذ المنطقة الحيوية الآمنة، وهذا يعني إسقاط أية طائرة بوسنية ذات جناح ثابت أو طائرة مروحية تعلق في الأجواء المحظورة. فلم لا نعطي الصرب البوسنيين ضربة قاسية فهم

المعتدون والمنفذون أساساً لسياسة القمع؟ ولم لا نسحقهم؟ هذا فعلاً شيء يثير الإغراء لأن المسألة الأخلاقية لا يمكن الرد عليها. ومع هذا يبقى جون ميجور ودغلاس هيرد قلقين ولكن ليس دون سبب. فإذا ما أسقطت طائرات مروحية صربية هل سيصبح إيصال المواد الغذائية أكثر سهولة أو أشد صعوبة؟ وهل يصبح الجنود البريطانيون الذين يرافقون بشجاعة قوافل التموين أكثر عرضة لقذائف الصرب؟ وهل سيرتجف عناصر الميليشيات الصربية المتواجدة على التلال أم أنهم سيزدادون عنفاً؟ نحن لا نعرف ومعظم السياسيين لا يعرفون أيضاً لكن الذين هم مؤهلين أكثر من غيرهم أولئك الضباط البريطانيون المتواجدون في ساحة الميدان في البوسنة تحت علم الأمم المتحدة. فإذا ما أشار هؤلاء إلى الحذر فإنه يتوجب عندئذ على رئيس الوزراء جون ميجور أن يستجيب لنصيحتهم.

تعليق :

من أراد فهم السياسة البريطانية فليأمل ما تقوله هذه الصحيفة، وكيف تداور وتناقض وفي النهاية تعتذر بمصلحة الجنود البريطانيين والأصل هو الحلف المبطن مع الصرب
 ١- الديلي ميل جريدة يومية تمثل الطبقة الوسطى من حزب المحافظين ، وهي جريدة مهمة تستطيع أن تؤثر في الناس.

لن نسمح بسقوط سراييفو(*)

أعلن زعيم حزب الديمقراطيين الأحرار بادي أشداون الذي انفرد حزبه عن بقية الأحزاب في بريطانيا بتأييد خطوة عسكرية لوقف اعتداءات الصرب بأن : "قوات الصرب تجلس على التلال آمنة من العقاب وتدمر مدينة مدينة من أجل التسلية. فقد حانت اللحظة التي يتوجب أن نفعل فيها شيئاً ما. فإذا ما استخدم سلاح الجو هنا (أي في البوسنة) فإنه يمكن تدمير الأسلحة الثقيلة التي تدمر سراييفو. وقال بادي أشداون في وجه الانتقادات التي تقول بأن سلاح الجو غير فعال في البوسنة: "إذا كان الأمر كذلك فلماذا يخشى الصرب هذا الخيار كثيراً؟".

وقال بعد لقائه بنائب رئيس البوسنة احجيب غانيك : "إنني والسيد غانيك متفقين في الرؤية. فنحن لن نسمح بسقوط سراييفو في يد دولة الصرب في عملها العدوانى الأخير. فسراييفو هي رمز أهليتنا للتمسك بالقانون الدولي. إنني أتوسل إلى الغرب أن لا يحسب فقط تكاليف التدخل ولكن عدم التدخل الذي ستكون نتيجته تدمير مدينة أوروبية.

(*) الاندبندنت ١٦/١٢/١٩٩١.

الذبح باسم صربيا الكبرى

نشرت صحيفة الهيرالد تريبيون تقريراً أخبارياً يوم الاثنين في ١٤ ديسمبر ١٩٩٢ حول هذا الموضوع لمراسلتها في زغرب سلافنكا دركولك فيما يلي عرض لبعض ما ورد فيه :
 يبدو أن ما يحدث في البوسنة والهرسك ضد النساء المسلمات والكروات لا مثيل له في تاريخ جرائم الحرب. فالنساء يغتصبن بطريقة منظمة وكأنها جريمة حرب معدة لتدمير شعب مسلم وتقويض حضارته وتكامله الديني وتقاليد. وأعداد النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب يثير القشعريرة. فقد قدرت وزارة الداخلية في البوسنة والهرسك في شهر أكتوبر الماضي ، أن خمسين ألف امرأة قد اغتصبت وأن عدداً كبيراً قد تعرض للاستجواب. ويخشى أن يكون العدد قد تضاعف منذ ذلك الوقت أكثر. ففي العالم المتحضر يعتبر الاغتصاب جريمة حرب والاغتصاب الجماعي وسيلة إبادة محرمة في القانون الدولي. فحياة عشرات الآلاف من النساء قد دمرت والعالم مدين لهن بذلك على الأقل. فيما يلي سرد بسيط لما جرى لواحدة منهن فقط :

تقول السيدة ز. ن. البالغة من العمر أربعين عاماً أن (عصابات) التشكانيين بمجرد دخولها المدينة بدأت باختيار النساء والأطفال والعجز. فالرجال اقتيدوا، بحجة إعادة توزيعهم ، إلى معسكرات التصفية والتعذيب. أما نحن النسوة فقد ساقونا إلى مدرسة حولت إلى معسكر. وقام جيراننا السابقون بوضعنا في السجون فقد عرفت العديد ممن كانوا يزوروننا في الماضي. وبمجرد دخولنا المعسكر دخل أتباع الزعيم الصربي ميلان مارتيك ببنادقهم واختاروا الفتيات والنساء صغار السن ووضعوهن في قاعة وأخبروا عصابات التشكانيين بأن يفعلوا بهن ما يشاؤون. خيم الهدوء للحظات ففز بعدها رجال التشكانيين على النسوة كالحیوانات وأمعنوا بتمزيق ملابسهن وشد شعرهن وقطع نهودهن بالسكاكين. وقام هؤلاء بقطع كرش أي امرأة تلبس سروالاً تقليدياً خاصاً بالمسلمين. وأما النسوة اللواتي بدأن بالصراخ فقد قتلن مباشرة. وقام رجال التشكانيين باغتصاب النساء والفتيات وتعذيبهن أمام بضعة مئات من السجناء لعدة أيام. لقد كان منظرًا لا يمكن تحمله ، رؤية اغتصاب فتيات أمام ذويهن.

في المساء عادة وبعد أن يشرب رجال التشكانيين كثيراً من الخمر، يأتون إلى القاعة حاملين مصباحاً يدوسون علينا بحثاً عن فتيات تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر، لكن الفتيات الصغار يبدأن بالصراخ ويتشبثن بأمهاتهن بقوة فيعلق شيء من ثياب أمهاتهن في أيدهن وهن يحملن مكرهات. وبينما يقوم رجال التشكانيين بذلك يطلق النار علينا. وبعد ذلك يترك رجال التشكانيين أجساد الفتيات في القاعة لكي نراها. لقد ذرفن الدموع حتى الصباح. بعدها تأخذ الجثث لترمي في النهر. وهذه الصورة تتكرر كل يوم : يغتصبون النساء ويقتلونهن أمام المئات منا. وذات مرة، أخذت امرأة صغيرة السن مع طفلها إلى وسط القاعة. كان ذلك في شهر مايو. فقد طلبوا منها أن تخلع ثيابها. وضعت طفلها على الأرض بجانبها وقام أربعة رجال من التشكانيين باغتصابها. لقد كانت تنظر بصمت إلى طفلها الجاهش في البكاء. وعندما تركوها طلبت منهم إذا كان بإمكانها إرضاع طفلها فما كان منهم إلا أن قطعوا رأس الطفل بسكين. لقد صرخت المرأة المسكينة فأخذوها إلى الخارج ولم تعد بعدها إلى القاعة.

في دائرة الضوء

مشروع تقسيم العالم الإسلامي

دويلات الطوائف إلى أين؟!

يكثُر الحديث في الآونة الأخيرة عن مشاريع دويلات الطوائف وما يسمى بـ"الكانتونات"، خصوصاً مع تزايد النغمة الانفصالية ونغمة إقامة المناطق المحمية؟! وتقف خلفها بعض الأصابع الخفية حول هذه الدعوات القديمة والمتجددة باسم الإنسانية والدفاع عن حقوق الأقليات والطوائف الدينية والعرقية والمذهبية..

ففي العراق أقيمت منطقة لحماية الشيعة في جنوب العراق بعد إقامة محمية للأكراد في الشمال؟! وفي السودان ، طالبت حركة التمرد النصرانية في محادثات جوبا الأخيرة بانفصال جنوب السودان عن شماله. أما مجلس الكنائس الأفريقي فقد دعا إلى إقامة منطقة محمية في جنوب السودان على غرار ما يحدث في شمال العرق وجنوبه ، وكرر مثل هذا الكلام نفسه جون قرنق ، أما الولايات المتحدة فقد صرحت أنها لا تعارض مبدئياً تقسيم السودان؟!

وفي مصر دعت بعض الجمعيات القبطية التي تعيش في الخارج أمريكا إلى تدخل إنساني وإقامة منطقة محمية للأقباط لإنقاذهم من مذابح المسلمين؟! لقد أصبح ما يسمى بـ "المناطق المحمية" تقليداً تسعى الدول الغربية على إشاعته في العالم الإسلامي فقط فهو مفصل على جسد الأمة الإسلامية المتخن بالجراح. أما لبنان ، فقد كتبت مجلة الوطن العربي (٩١٩٩٢/١٨) عن مشروع "محمية دولية للموارنة في لبنان " بعد مقاطعة الموارنة للانتخابات الأخيرة التي أقيمت في لبنان مؤخراً وعلى رأسهم بطريرك الموارنة، حيث أجرى هذا البطريرك اتصالات مع بابا الفاتيكان يدعو إلى التدخل لإنقاذ نصارى لبنان من الاضطهاد والتهجير القسري. بالإضافة إلى مشروع تقسيم البوسنة والهرسك بين النصارى من الصرب والكروات ، وكذلك أفغانستان هناك محاولة لتقسيمها على أساس عرقي ، أو على أساس مذهبي وعقدي بين الشيوعيين وأهل السنة والروافض. إنه صورة أخرى لاتفاقية "ساكس -بيكو" بينما تتجه الدول الأخرى إلى الوحدة والتكتل مثل الوحدة الأوروبية، والتكتل القادم بين دول أمريكا الشمالية وغيرها.

إحياء اليسار العربي

ماذا وراءه؟!

كالعادة تبدو الأوضاع في العالم العربي مقلوبة، فعلى الرغم من سقوط اليسار وأطروحاته في العالم أجمع، نجد أن التيارات اليسارية في العالم العربي ما زالت تصول وتجول، وتستولي على المنابر الثقافية والإعلامية، والمؤسسات العلمية والتعليمية، بالإضافة إلى إنشاء الأحزاب وإصدار الصحف والتي تلجج بالأطروحات اليسارية المهترئة.. بل هذه التيارات ازدادت نشاطاً وحيوية بعد سقوط معقل اليسار في الشرق والغرب الذي هو بالنسبة لها سند أيديولوجي ومالي وتنظيمي؟! واستطاعت الوصول والاستيلاء على الكثير من المناصب والمنابر الإعلامية والثقافية والعلمية، والسبب في ذلك أن الحكومات العربية كانت تتخوف من هذه التيارات اليسارية وتسعى إلى تقليم أظافرها خشية من استفحال أمرها، ولكن بعد سقوط اليسار وزواله، زال الخوف من هذه التيارات والاتجاهات اليسارية لأنها في وضعها الحالي أضعف من أن تكون مصدر خطر على هذه الحكومات، والسبب الثاني هو أن الوضع يتطلب التكاتف والتعاون ضد عدو حقيقي آخر وهو "الأصولية" كما سموها. ولا أدل على ذلك من أن الأحزاب اليسارية الشيوعية والاشتراكية تصول وتجول في الساحة بينما يزج آلاف من العلماء والبدعة والشباب الصالحين في غياهب السجون. ومن أمثلة المحاولات المستميتة لإحياء اليسار وتلميع وجوه أصحابه ، ما نراه من تغلغل اليسار في المنابر الثقافية والإعلامية وإليك الأمثلة :

رئيس تحرير مجلة "فصول" حالياً د. جابر عصفور وهو يساري ، رئيس تحرير مجلة "القاهرة" غالي شكري وهو نصراني يساري ، رئيس تحرير مجلة "إبداع" أحمد عبد المعطي حجازي وهو حدائثي يساري ، حيث تم إقالة رؤساء التحرير السابقين والإتيان بهؤلاء اليساريين. وهذا تسلط من قبل اليسار على مثل هذه القنوات الإعلامية والثقافية مما دعا د. مصطفى هدرارة إلى كتابة رسالة

إلى الرئيس المصري يشتكى من خلالها سيطرة "الثقافة الماركسية العلمانية وفلول الشيوعيين على المناصب الإعلامية والثقافية في مصر"؟! أما في الجانب السياسي فإننا نرى محاولات متعددة من أجل تلميع الناصرية والتجربة الناصرية من خلال المقالات والندوات والكتب، وقد أجمع المراقبون على أن إنشاء الحزب الناصري وإعطاءه ترخيصاً على ذلك إنما هو من أجل مواجهة الأصولية المزعومة وبالذات على صعيد الفكر والأيدولوجيا. ويحاول هذا الحزب ركوب الموجة "الإسلامية" رغم البون الشاسع بين الطريقتين؟! لما سئل الأمين العام المؤقت "ضياء الدين داود" عن خلاف الناصريين القديم مع التيارات الإسلامية قال: "لا أعتقد أن هناك حزباً يعارض تطبيق الشريعة الإسلامية، لكن لكل اجتهاده. ولا مجال للحديث عن حزب علماني في المجتمع الإسلامي" (١).

الهوامش:

١- الحياة ١٢/١١/١٢هـ.

طبيب الأسرة مص الإبهام

د. محمد اهليل

إن عادة مص الإبهام أو الأصابع ظاهرة شائعة بين الأطفال، فهي مقبولة من الناحية الطبية لمن هم دون سن الثالثة. أما بعد سن الرابعة فقد يكون تعلق الطفل بإبهامه أو بأصابعه هو المؤشر الوحيد على وجود قلق نفسي أو اضطراب عاطفي عند الطفل. إن ١٠% من الأطفال ما بين ٦-١٢ سنة مبتلون بهذه العادة. قد يصاحب هذه الظاهرة عادات مضطربة أخرى مثل:

- شد الشعر: حيث يقوم الطفل بوضع أصابعه بين ثنايا شعره وشده، وذلك على فترات، أو يقوم بلف خصلات من شعره حول أصبعه أو أصابعه بطريقة عصبية متوترة واضحة للعيان دون أن يحس بها هو نفسه.

- قضم الأظافر.

- أرجحة الجسم.

- صرّ الأسنان.

- ضرب الرأس.

- فرك أجزاء الجسم كاليدين مثلاً.

إن السمة المشتركة بين هذه الظواهر أنها نفسية المنشأ: فهي محاولة من الطفل - دون أن يعي - التخفيف من حدة التوتر الذي يحس به. إن بعض هذه العادات أكثر مضايقية للأهل من عادة مص الإبهام ذاتها.

ما هي المشاكل الناتجة عن عادة مص الإبهام؟

إن الطفل بمصه إبهامه أو أصابعه ومحاولته تهدئة نفسه إنما يحل مشكلة واحدة ويترك مشاكل عديدة تنشأ وهي:

١- سوء إطباق الأسنان الدائم هذه أهم مشكلة جسدية قد تنجم عن عادة مص الإبهام لفترات طويلة ومستمرة خصوصاً إذا استمرت هذه العادة بعد سقوط الأسنان اللبنية وظهور الأسنان الدائمة، إن درجة سوء إطباق الأسنان الناجم عن مص الإبهام متفاوتة في شدتها حسب عوامل كثيرة منها:

قوة ومدّة وكثرة أو قلة مص الأصابع /الإبهام. وقد يصل سوء إطباق الأسنان إلى مرحلة متقدمة تبرز فيها الأسنان العلوية للأمام بشكل واضح كما ينحرف الفك العلوي للجهة التي يوضع فيها الإبهام. كما أنه عند إطباق الفكين تظل هناك فجوة واضحة بين الأسنان. إن حالات مص الإبهام الشديدة قد تسمع من الغرفة المجاورة مثلاً.

٢- عادة مص الإبهام قد تخل بالنشاط اليومي للطفل : فالطفل الذي يشغل ذهنه وقواه العقلية بأصبعه وفمه فقط لن ينتبه للأمور الأخرى المحيطة به وعدم الانتباه هذا سيقبل من تفاعله مع الآخرين: فاستخدامه ليديه سيقبل لأن إحداهما في فمه. ويقل أيضاً استخدامه لفمه ولسانه مما قد يؤثر على لغته وتطور قدرته التعبيرية في التفاعل مع الآخرين ، وبالمجمل فإن مشاركته الجسدية واللغوية تقل.

٣- لعادة مص الإبهام مردود نفسي سيء على الطفل وذلك لشعور الأبوين بالضيق والحرص لتصرف الطفل لا سيما أمام الناس ، وهكذا ينعكس على تصرفاتها معه والتي قد تتصف بالقسوة وتتخذ من الزجر والتفريع (ولربما الضرب أحياناً) وسائل علاج.

هل من علاج؟

عادة ما ينصح الآباء بإهمال شأن هذه العادة لأن معظم الأطفال يتخذونها وسيلة تخفيف لحدة توترهم ، والطفل يقلع عنها عندما يحس بالطمأنينة التي تعوضه عن اللجوء لهذه العادة لتهدئة نفسه. من المهم أن يدرك الأبوان أن أي محاولة علاج مصيرها الفشل - في غالب الأحيان - ما لم يكن الطفل قد وصل إلى سن معينة يستطيع معها أن يدرك المشاكل الصحية التي قد تنجم عن عادة مصه إبهامه وبالتالي استنفار دوافعه الذاتية لوقفها.

وقبل استشارة الطبيب ، كثيراً ما يحاول الأهل اللجوء إلى أساليب متنوعة مثل : لف يد الطفل أو ربطها، إلياسه قفازاً، وضع مواد حارة (كالفلفل) أو مواد مرة الطعم أو الاستعاضة عن الإبهام بالمُسكِتة "المصاصة". وما لم يدرك الطفل جيداً سبب اختيار الوسيلة العلاجية ووجود رغبته في المشاركة في المعالجة، فإنه بلا شك سينظر لهذه الوسيلة العلاجية كعقاب مما قد يزيد من ردود فعله السلبية ويرفع من حد توتره.

وإليك بعض النصائح الطبية التي قد تعين في التخلص من هذه العادة:

١- من الضروري أن يحاول الأهل تحديد سبب توتر الطفل والذي قد يدفعه لمص إبهامه، ويكون ليس بمساءلته بل بمراقبة سلوكه في البيت وملاحظة الحوادث التي تزيد من مصه إبهامه. فمثلاً: قد يكون إفراطهم في مداعبة أخيه الأصغر وإهمالهم له السبب المؤدي لتوتره ومن ثم يحاول الأبوان - ما أمكن - العمل على تفادي أو التقليل من بروز العامل المسبب لتوتر الطفل.

٢- على الأهل العمل على ضبط مشاعرهما أمام الطفل وعدم التصرف بانفعال عند رؤيته يمص إبهامه وعدم محاولة ضربه أو زجره خصوصاً أمام الآخرين أو محاولة جذب أصبعه خارج فمه (يستثنى من هذه الحالة الأخيرة : أثناء نوم الطفل ولا بأس من إخراج إبهامه من فمه برفق). كما لا يجوز جعل الطفل أضحوكة في البيت بسبب هذه العادة.

٣- زيادة الوقت الذي يقضيه الوالدان مع الطفل وملء هذا الوقت بما يشغل الطفل من أمور نافعة تتناسب مع عمره كاللعب أو التدريس مثلاً.

٤ - محاولة إشغال يدي الطفل معظم الوقت - ما أمكن - باللعب أو الكتابة وذلك بما يناسب سنه.

٥- إعادة تشكيل سلوك الطفل : وذلك بتعزيز سلوك الطفل في الفترات التي لا يمص فيها إبهامه: فمثلاً كلما زادت الفترات التي يقلع فيها عن مص إبهامه خلال فترة زمنية معينة (أسبوع مثلاً) أو قل عدد المرات التي يمص بها إبهامه في نفس الفترة يعطى الطفل جائزة معنوية أو مادية: كأن

يعطى كل أسبوع شارة (نجمة ورقية ذهبية اللون) تلتصق في كراس خاص له وعندما يجمع عدداً معيناً منها يعطى جائزة بسيطة: كقلم أو قصة للأطفال لتشجيع سلوكه للإقلاع عن مص أصبعه. من المهم أن نذكر أن بعض الحالات قد تخفق معها هذه الوسائل وهي الحالات الشديدة، وهذه تحتاج إلى رأي الطبيب النفسي أو تحتاج إلى استخدام بعض الأجهزة الطبية التي توضع بالفم للحيلولة دون وضع الطفل يده داخل فمه.

وفاة الشيخ حمود التويجري

هيثم الحداد

توفي في مدينة الرياض عن عمر يناهز الثمانين، فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله- رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ولا يتسع المجال هنا لذكر ترجمة مفصلة للشيخ ، ولكن سنذكر أهم ما تميز به. فأولها جلد عجيب على طلب العلم وتحصيله، وكان سمة بارزة في حياته منذ أن بدأ الطلب في سن مبكرة حتى أصبح من حملة العلم وناشريه ، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم ، فأتمه ولمّا يبلغ الحادية عشرة من عمره ، ثم بدأ بطلب العلوم الأخرى على علم المجمع وفتاها العلامة عبد الله بن عبد العزيز العنقري -رحمه الله تعالى-، وإنك لتعجب حينما تسمع أنه كان يقضي يومه كله من بعد صلاة الفجر، حتى بعد صلاة العشاء في القراءة والطلب. وقد لازم شيخه عبد الله قرابة ربع قرن، قرأ فيها عليه الصحيح والمسانيد والسنن، وأجازته شيخه فيها إجازة عامة، وقرأ عليه فتح الباري، والمغني لابن قدامة المقدسي، ومنهاج السنة النبوية ودرء تعارض العقل والنقل ، والفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد المعاد لابن القيم ، وطائفة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة، وغيرها كثير، وأخذ عن العلامة قاضي مكة سليمان بن حمدان، وعنه عن رواية المغرب الكبير محمد بن عبد الحي الكتاني يروي الكتب الستة.

ولم تفتقر همة الشيخ عن الطلب والتحصيل بمثل هذه القوة والرغبة مع تقدمه في السن. وإنك لتجد تعليقاته وتعقيباته وتصويباته ، على ما يقرأ، فله تعليقات كثيرة على نسخة مسند الإمام أحمد بن حنبل المطبوعة بتحقيق أحمد شاكر، ومثل هذا تجد على فتح الباري ، وغيرها. وكما كان حال سلفنا الصالح من الجمع بين الجلد على العلم ، وكثرة العبادة، كان الشيخ كذلك وهذا من دلائل الإخلاص. وله في دمائه الخلق وطيب المعشر، شيء عجيب، يقول أبناؤه: ما كان الشيخ يطلب من أحد شيئاً البتة، وحتى بعد أن ضعفت صحته ، فكان يقوم بإعداد الشاي والقهوة بنفسه ، مع إلحاح أبنائه عليه بعدم فعل ذلك راحة لجسده ، بل إننا لنجد أبعد من هذا عند شيخنا، فهو خادم رفقته في السفر، حتى وقد تقدمت به السن، مع حظوته وتقدير الرفقة العظيم له، وقد يقوم بإعداد الطعام ، ومن ذلك أنه كان يقوم الليل الآخر كعادته ثم يضطجع اضطجاعة خفيفة حتى يحين وقت الصبح فيسخن الماء لرفقته من أجل الوضوء. وتلك العبادة أكسبت ذلك الشيخ رفع الله درجته- ورعاً في الأموال والأعراض ، فلم يل طيلة عمره عملاً رسمياً، خوفاً من عدم القيام به على وجه الأتم ، أو لأمر آخر قد رآه ، وألزم بالقضاء فهرب منه متخفياً إلى الرياض ، ثم أجبر عليه متنقلاً بين مدينة رحيمة بالمنطقة الشرقية حيث مكث فيها ستة أشهر، ثم الزلفى سنتين ثم لم يعد إليه إلى أن توفاه الله.

واكتفى ببعض التجارات التي لم يكن يليها بنفسه ، فكان زاهداً في الدنيا، وقبل وفاته أعطى أكبر أبنائه جميع ما يملك - ولم يكن شيئاً كبيراً - ليتصدق به كله ، فلم يخلف -رحمه الله- وراءه عقاراً أو مالاً، سوى البيت الذي يعيش فيه مع أبنائه. أما ورعه في الأعراض ، فمضرب مثل ، فلم

يسمع أنه تكلم في أحد البتة، لا عالماً ولا متعلماً، ولا عامياً. ومما يحسن ذكره أن الشيخ كان من المتابعين لأحوال المسلمين وما يجري لهم، فكان يتحرق للآلام حتى أن أبناءه أوصوا زواره بعدم ذكر جراحات المسلمين أمامه حتى لا يزداد عليه المرض. وكان ذا مواقف مشهودة في دعم أهل الخير وإصلاح ذات البين وكان كثير الثناء والدعاء للصحة الإسلامية ورجالاتها. ترك الشيخ ما يزيد عن خمسين كتاباً منها:

- الإيضاح والتبين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين.
 - تحفة الإخوان في ما جاء في الموالاتة والمعاداة والحب والبغض والهجران. ومن آخرها صدوراً:
 - قصص العقوبات والعبير والمواعظ.
 - تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام.
- ولد الشيخ في مدينة المجمع عام ١٣٣٤ هـ ووافته المنية يوم الثلاثاء لخمس مضي من رجب عام ثلاثة عشر وأربعمئة للهجرة عن عمر يقارب الثمانين عاماً. وكان مشهد جنازته مهيباً وتمثل لنا مقولة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنازة. وكم في ذلك المشهد من إغظة لأهل الزيغ من مبتدعة، أو علمانيين ، فتلك الجموع التي بدأت بالتوافد على مدينة الرياض منذ سماعها النبأ، ما حملها على ذلك إلا حب العلماء والصالحين بشكل عام ، فكثير ممن شهد جنازته لم يكن على معرفة شخصية بالشيخ. وإن في ذلك المشهد إثباتاً لا يدع مجالاً للشك في التفاف الناس حول علمائهم ، ومقدار الحب العظيم الذي يكونونه لهم.

وضع الحجر الأساسي لأول مركز إسلامي في البانيا

عماد الدين بكري إسماعيل

بعد اندحار الشيوعية بادرت جمعية الوقف الإسلامي فغرست أول غرس لها في البانيا، وذلك بوضع اللبنة الأولى في مركز الفرقان الإسلامي بتيرانا - العاصمة -، وقد شهد المناسبة جمع غفير على رأسهم رئيس جمهورية البانيا الدكتور صالح بريشة الذي ظهر متأثراً جداً من رؤيته للجمع الذي ضم الصغير والكبير، التلميذ والعامل ، وكان مما قاله دالاً على تأثره : "أنا سعيد جداً بأن أضع بيدي الحجر الأساس لأول مركز إسلامي بالبانيا بعد غيبة للعمل الإسلامي طويلاً، كم أنا سعيد برجوع الألبان إلى دينهم".

وشهد المناسبة أعضاء مجلس أمناء جمعية الوقف الإسلامي ، ومديرو الهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة بالبانيا وجمع كبير من موظفيها وموظفي الدولة بتيرانا.

والمركز سيبنى إن شاء الله تعالى على مساحة ٤٠,٠٠٠ م ٢ ويضم المنشآت الآتية :

- ١- مسجد جامع.
- ٢- مدرسة ابتدائية.
- ٣- مدرسة ثانوية.
- ٤- سكن داخلي للطلاب.
- ٥- مستوصف صحي يضم خمس عيادات إلى جانب المعمل وغرفة الأشعة والصيدلية.
- ٦- عمارتان في كل واحدة ٦ شقق لسكن الأطباء والمعلمين والموظفين.

٧- صالة رياضية مغلقة، بالإضافة إلى الملاعب المفتوحة.

٨- مكتبة عامة للمطالعة.

وستبني الجمعية ثلاثة مراكز في ثلاث مدن أخرى، وهي اشكودرة، كاوايا ودورس، بنفس مواصفات مركز تيرانا، هذا وسيبدأ العمل في المراكز مجتمعة في وقت واحد إن شاء الله تعالى. نسأل الله التوفيق والسداد.

منتدى القراء

عملية (إعادة الأمل)!

عبد الله أبو الهدى

في عصر الثمالة حيث يتجرع الجميع من دماء المسلمين تأتي عملية ما يسمى (بإعادة الأمل) في الصومال الجريح لتطرح المزيد من الشكوك عن دور إنقاذي مزعوم لمجلس الأمن والأمم المتحدة في إنهاء مأساة هذا الشعب المسلم الذي أنهكته المجاعات وحروب العصابات المختلفة.. فنحن لم نتعود أبداً رؤية الكابوي الأمريكي وقد حركته أثارة من شهامة أو مروءة أو مشاعر إنسانية، وقد عرفنا كيف أن (هنري كيسنجر) مهندس السياسة الأمريكية الحديثة، اشتهر بازدرائه الاعتبارات الأخلاقية في السياسة الخارجية، وهو ما نلاحظه جلياً من خلال التعامل الأمريكي والغربي عموماً مع مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك أو فلسطين أو الهند أو قبرص أو غيرها! فكيف لم تستترهم تلك المآسي واستنارتهم هذه المشكلة؟ وهل يا ترى تكون بريئة شهامتهم هذه أم أن أمريكا عودتنا ابتلاع سكاكينها على مراحل؟! إننا لو نظرنا إلى التصريحات المعلنة لجورج بوش أو ديك تشيني أو كولن باول لوجدنا تناقضات صارخة فيما بينها؛ فالأول جعل لقواته استقلالية تامة عن الآخرين ونجده لم يستبعد أشياء (أخرى) إذا ما دعت الضرورة، والثاني حدد مدة الانسحاب بمدة اقصاها ١٩٩٣/١/٢٠ يوم دخول الرئيس كلنتون البيت الأبيض والثالث أبلغ الصحفيين أن المهمة لا تنفذ قبل ثلاثة أشهر على أقل تقدير! ولعل في هذا ما يدل على أن ثمة خطة ثانية أراد بها جورج بوش تجريع العرب والمسلمين كأساً من كؤوس صداقته لهم، ونحن لم ننسى المباركات العربية التي سبقت هذا التدخل كونه الحل الوحيد لمشاكل الصومال (المعقدة)... بقي أن نقول إن التدخل الأمريكي (الأخوي) في شؤون هذا البلد المنكوب لم تحركه أية اعتبارات إنسانية أو مشاعر فياضة وعواطف رقيقة، بل هو مبني على محض المصلحة.. هذه المصلحة التي جاءت الآن على شكل مغامرة جديدة تستهدف:

- ١- إحداث اختراق عسكري وسياسي في الخاصرة الإفريقية بمبررات ساذجة.
- ٢- الهيمنة على هذا البلد المسلم الذي يملك أطول ساحل بحري في أفريقيا (حوالي ٣٣٣٠ كم).
- ٣- تطويقاً عسكرياً لمضيق باب المنذب الذي لا يقل أهمية عن قناة السويس.
- ٤- وضع اليد على ثروات الصومال ومعاينة حقول اليورانيوم الضخمة في الأوغادين.
- ٥- الظهور بمظهر المنقذ الشهم الذي ساهم في إنهاء أكبر كارثة مجاعة في أفريقيا.
- ٦- ربما التمهيد لتدخل سافر في شؤون السودان الذي لا تروق للعم سام توجهات حكومته! هذا وللعلم فإن بعض الطائرات التي كانت تقل أطنان الإغاثة الصومالية كانت أيضاً تنقل أطنان الأسلحة للمليشيات المتقاتلة.. واسألوا إن شئتم (محمد سحنون) المبعوث الدولي الذي استقال.

وللدعاة زمن آخر..!

أبو جهاد حسين بن علي زومي

نظرت من نافذة الطائرة فإذا كل شيء حولها يسرع في الذهاب.. وما كان قريباً إذا هو بعيد بعيداً! وأردفت بنظرة أخرى على ساعتني فإذا عقاربها ما بين تقارب وتباعد.. تلازم وتتأفر.. لكن الشيء الوحيد الذي يجمعها أنها تسير دوماً للأمام.. نعم ، إنها تسير للأمام بدقة عجيبة متناهية.. دونما كلل أو ملل!

كل شيء حولنا يذكرنا بمرور الزمن بسرعة ملفتة للنظر!.. بل حتى ذواتنا.. نمونا السريع.. دقات قلوبنا.. لا تدع لنا مجالاً للشك في سرعة الزمن! ولذلك يحكم الإنسان في بادئ أمره وبنظرته المحدودة أن حياته قصيرة.. بل قصيرة جداً!!

وهذا الواقع يصح على كل من لم يعرف العيش في الحياة الطويلة!.. نعم ، إن هناك حياة طويلة.. طويلة بما تحمله من معان سامية.. لا بمقياس السرعة والمادة!!

هذه الحياة لم يعش بها ويشعر بحلاوتها وطولها إلا فئة قليلة امتازت عن غناء البشرية.. إنهم الذين أفتوا أعمارهم في خدمة الناس وهداية الإنسانية.. إنهم الدعاة إلى الله عز وجل.

وقد تحدثت (سيد قطب) - رحمه الله - عن هذه الحياة بكلام رائع ، جد رائع فقال : عندما نعيش لذواتنا فحسب ، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي ، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود!.. أما عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض!..

إننا نربح أضعاف عمرنا الفردي في هذه الحالة، نربحها حقيقة لا وهماً، فتصور الحياة على هذا النحو، يضاعف شعورنا بأيماننا وساعاتنا ولحظاتنا.. وليست الحياة بعدّ السنين ولكنها بعداد المشاعر. وما يسميه (الواقعيون) في هذه الحالة (وهماً)! هو في (الواقع)، (حقيقة) أصح من كل حقائقهم!.. (١)

نعم هذه هي حياة الدعاة.. ولهم حياة أخرى هي أجلّ وأسمى من هذه الحياة.. حياة لا توصف بطول ولا قصر!.. لأنها في الحقيقة حياة خلود لا يناوشه الزمن بهرم ولا بلى.. عند الرفيق الأعلى!

الهوامش:

١- أفراح الروح ص ٩.

زمان الفاتحين

محمد بن سعد العجلان

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
أسدل ستارك أيها التاريخ وضاء الجبين
أسدل ستارك إننا

ما بين غي وانهزام
لا سعد يمتشق الحسام ولا صلاح الدين
لا القادسية شمسها انبثقت ولا حطين
أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

في ظل هذا الانقسام
 في ظل قانون النظام
 وظل مآذبة اللئام
 وفي ظل تحويل الجهاد إلى سلام
 والاحتكام لغير رب الاحتكام
 صرنا كقطعان النعام
 أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
 وقل على العرب السلام

من للجهاد إذا أهين الواعظون
 وتربصت بهم المنون
 وتشبعت بدمائهم غرف السجون
 ورأيت أعداء العقيدة يسرحون ويمرحون
 من كل فج ينسلون
 وعلى دماء شعوبنا يتقامرون
 من للجهاد...
 يا أمتي من للجهاد؟

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
 أسدل ستارك وانتظر
 أسدل ستارك واصطبر
 فارب قلب ينفطر
 ولرب قلب يستعر
 ولربما في عصرنا
 يأتي الزمان المنتظر
 ولربما من صلبننا
 تأتي صناديد البشر
 ولربما من قهرنا
 تأتي فلول الغاضبين
 ولربما من ذلنا
 يأتي إباء الأولين
 ولربما من بيننا
 يأتي أمير المؤمنين
 يأتي عُمر
 يأتي الظفر
 يأتي صلاح الدين

قديم جديد

فلنتعصب (*)..!!

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

- رحمه الله -

قال صاحب سر (م) باشا:

جاءني يوماً صحفي إنجليزي من هؤلاء الكتاب المتعصبين الذين تطلقهم إنجلترا كما تطلق مدافعها؛ غير أن هذه للبارود والرصاص والقنابل، وأولئك للكذب والتهم والمغالطات؛ وهو أذنٌ وعينٌ ولسانٌ وقلم لجريدة إنجليزية كبيرة معروفة بثقل وطأتها على الشرق والإسلام؛ تُصلح بإفساد، وتداوي الحمى بالطاعون، وتعمل في نهضة الشرقيين واستقلالهم ما يشبه قطع ثدي الأم وهو في شفتي رضيعها المسكين.

(..)

قال: ونظرت إلى الصحفي الإنجليزي نظرةً أكشفه بها فإذا أول الفرق بينه وبين أمثاله عندنا شعوره أن بلاده قد ربته (للخارج) فهو عند نفسه كأنه إنجليزي مرتين؛ ويأتي من ذلك إحساسه بعزة المالك وقوة المستعمر، فلا يكون حيث يكون إلا في صراحة الأمر النافذ أو غموض الحيلة المبهمة؛ ويستحكم بهذا وذاك طبعه العملي، فهو بغريزته مقاتل من مقاتلة الفكر، يلتمس ميدانه بين القوى المتضاربة، لا يبالي أن يكون فيه الموت ما دام فيه العمل؛ وبهذا كله تراه نافذ البصيرة قائماً على سواء الطريق، لأن الإنجليزي الباطن فيه يوجّه الإنجليزي الظاهر منه ويُسانده، وفي أعماق الاثنين تجد إنجلترا وليس غير إنجلترا.

ثم تفرّست في الرجل أريد كُنْه وحقيقته فإذا له نفسٌ مفتوحةٌ مقفلةٌ معاً كغرف الدار الواحدة، يُفتح بعضها لما فيه كيما يرى، ويقفل بعضها على ما فيه كي لا يرى. وله وجه عملي يكاد يحاسبك على نظراتك إليه، تدور في هذا الوجه عياناً قد اعتادتنا وزن الأشياء والمعاني، يتلألأ في هاتين العينين شعاع النفس القوية الممرنة قد نفت الثقة بها نصفَ هموم الحياة عن صاحبها، ثمُ هذه النفس طبيعة مؤمنة بأن أكبر سرورها في أعمالها، فواجبها في الحياة أن تعمل كل ما يحسنُ بها وكل ما يحسنُ منها.

(..)

قال صاحب السر: واستأذنت له على الباشا فسَهّل ورحب؛ ثم هممت بالانصراف عنهما ولكن الإنجليزي قال: يا باشا! إنه قد تمكن في روعي أن صاحب سرّك هذا متعصب ديني، وقد علمت أنه ابن فلان القاضي الشرعي فطربوشه ابن العمامة؛ ولقد كان ينظر إليّ وكأنه يتأمل من أين يذبحني..

فضحك الباشا وقال لي: يا فلان! إن هذا الكاتب من تلاميذ برنارد شو، فهو كأستاذة يجعل لكل حقيقة ذنباً كذيل الهرّ ثم يمسكها منه فإذا هي تعضّ وتتلوى..

والتفت بعد ذلك إلى الإنجليزي ثم قال له: جاءني كتابك فإذا كنت تريد رأيي فيما تسميه التعصب الديني عند المسلمين فعجيبٌ أن تضعوا أنتم الغلطة ثم تسألونا نحن فيها. إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذب الذي أكثرتم الكلام فيه إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوربية أرسلتموه إلينا ليقاتل لفظ التعصب الحقيقي؛ ومن قبل هذا اخترعتم لفظ (الأقليات) وأجريتموها في لغتكم السياسية لتجعلوا بها لتعصبنا الوطني شكلاً آخر غير شكله فتفسدوه علينا بهذه المادة المفسدة؛ وبذلك تضربون اليد اليمنى من غير أن تلمسوها إذ تضربونها بشل اليد اليسرى.

إن الإسلام في نفسه عدو شديد على التعصب الذي تفهمونه ، فهو يقول لأهله في كتابه العزيز: ((كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ)).
فإذا كان العدل في هذا الدين عدلاً صارماً، وحقاً محضاً، لا يميز بشيء البتة، لا ذات النفس التي فيها اشتهاؤُ الدم ، ولا أصلها من الأبوين الذين جاءت منهما وراثته الدم ، ولا أطرافها من الأقربين الذين يلتفون حول نسب الدم - إذا كان هذا فأين في هذا العدل محل الظلم؟
(..)

أتريد مني التعصب في الإسلام؟ إنه بعينه كتعصب كل إنجليزي للأسطول ، فهو تشابك المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة وأخذهم بأسباب القوة إلى آخر الاستطاعة لدفع ظلم القوة بأخر ما في الاستطاعة..

وهو بذلك يعمل عملين: استكمال الوجود الإسلامي والدفاع عن كماله.
وإذا أنت ترجمت هذا إلى معناه السياسي كان معناه إصرار جميع المسلمين على نوع الحياة وكرامتها لا على استمرار الحياة ووجودها فقط .
(..)

إن التعصب في حقيقته هو إعلان الأمة أنها في طاعة الشريعة الكاملة، وأن لها الروح الحادة لا البليدة، وأن أساسها في السياسة الاحترام الذاتي لا تقبل غيره ، وأن أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة لا أشكال نظرية، وأن مبدأها هو الحق ولا شيء غير الحق.
(..)

الهوامش:

*- نقلاً عن مجلة الرسالة ، العدد ١٦٥ ، ٤ اجمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ ، ٣١ أغسطس ١٩٦٣ ، السنة الرابعة.

الصفحة الأخيرة

كيف تشتري وزيراً أمريكياً؟!

جمال سلطان

ديفيد استايز يهودي من طراز خاص، فهو يتولى رئاسة اللوبي الإسرائيلي في أمريكا، والمعروف باسم "إيباك"، الرجل أثار ضجة مؤخراً، لم يقصد لها أساساً، عندما نشرت صحيفة "واشنطن تايمز" تفاصيل مكالمة هاتفية بينه وبين أحد وجهاء اليهود الأمريكيين ، حول طريقة شراء الإدارة الأمريكية الجديدة، بالجملة والمفروق.
المفاوضات بين "إيباك" وبين "بيل كلنتون" كانت تتركز حول موقعين أساسيين : وزير الخارجية، ومستشار الأمن القومي، من الإدارة الجديدة، ويبدو أن المفاوضات قد نجحت، وتم الشراء، أو الإيجار "الله أعلم"، حيث تردد أن إجمالي المبلغ الذي وفرته "إيباك" لحملة كلنتون "خمس وستون مليوناً" من الدولارات ، وقد أشار "ديفيد استايز" إلى أنه قد تم بالفعل زرع "حوالي اثني عشر من الأصدقاء - التعبير لاستايز - في مقر قيادة كلنتون ، وأنهم جميعاً سيتولون مناصب قيادية في الإدارة الأمريكية الجديدة".

رئيس اللوبي الإسرائيلي ، أضاف معلومة أكثر أهمية، وهي أن السيناتور "أل غور" نائب الرئيس ، هو - على حد التعبير الحرفي - "ملتزم معنا"، ولكنه - في الحقيقة - لم يوضح المبلغ بدقة! كما أن الأمر انتهى بفضيحة استقال على أثرها المستر "ديفيد" في محاولة للتخفيف من أبعادها. المزداد الأمريكي يعقد كل أربع سنوات ، وأنا أنصح تجار القضية الفلسطينية أن يوجهوا بعض "المال الحرام" إلى هذا المزداد، عساهم يفيدون ، بدلاً من التفرغ للتهديد بإطلاق النار على المجاهدين في الأرض المحتلة، أو تشبيههم بقبائل الزولو في جنوب أفريقيا.

تمت بعون الله والحمد لله
